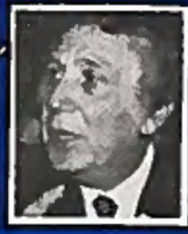
محمد الشرقاوي

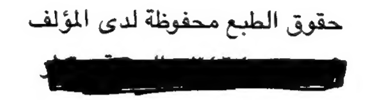
الطريق إلى القمة




الطريق إلى القمة

محمد الشرقاوي



الطبعة الأولى يوليو ٩٢

الإخراج والتنفيذ جمال مرسي

بداية الطريق

النجاح في الحياة .. مسألة قدرية ولأن الإنسان لا يعرف ما خطه القدر له فليس عليه إلا أن يعمل ويصبر .. ولا ينجح إلا من يدفع الضريبة من عمره ومن راحته ومن صحته.

كل الذين نجحوا لم يولدوا ناجحين لقد ذاقوا طعم الفشل ومرارة الألم. لكنهم صمدوا .. كانوا في داخلهم يؤمنون بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .. ولهذا حققوا ما كانوا يتطلعون إليه.

ولا يمكن القول أن النجاح موهبة بمعنى أن الموهوبين فقط .. هم الذين ينجحون .. لأننا نعرف موهوبين كثيرين ليسوا ناجحين .. وهذا يعني أن النجاح يحتاج إلى أشياء أخرى غير الموهبة.

والمتتبع لحياة هؤلاء المشاهير يلاحظ أن طفولتهم لم تكن تدل على أنهم سيحققون ما هم فيه الآن.

- الشيخ متولي الشعراوي .. لم يكن يرى مستقبله إلا في الزراعة كمزارع مثل كل أقاربه.
- د. يوسف ادريس لم يكتشف أنه كاتب قصة إلا بعد أن درس الطب.
- غادة السمان .. كانوا يعتبرونها بنتا «بائرة» لا تصلح أن تكون مثل كل بنات العائلة المتعلمات.

لكن القدر كان يخبيء لهم دورًا أفضل وأعظم من أحلام طفولتهم.

والآن لا يوجد من يفوق الشعراوي علمًا ومجدًا وشهرة.

د. يوسف ادريس رائد القصة القصيرة في عالمنا العربي وصاحب قلم جاد يفخر به كل مصري.

وغادة السمان ونوال السعداوي وأمينة السعيد .. كاتبات رائدات كل واحدة في مجال .. يشرف المرأة العربية.

باختصار كل هؤلاء الناجحين لم يستسلموا من البداية. حملوا أحلامهم وطموحاتهم وراحوا يضعون كل يوم طوبة على جدار المستقبل .. بعضهم حقق حلم شبابه والبعض الآخر وجد نفسه في مجال آخر ما كان يحلم به لكنه ناجح فيه ومشهور أيضًا.

ولو كان د. زكي نجيب محمود .. تقاعس منذ طفولته معتبرًا أنه ليس موهوبًا .. لما وصل إلى ما هو فيه الآن .. نفس الشيء كان يمكن أن يحدث مع د. مصطفى محمود ونجيب محفوظ وأحمد بهاء الدين وأحمد بهجت واحسان عبد القدوس وغيرهم.

ان النجاح طريق طويل يبدأ بتحديد الهدف والاصرار على تحقيقه .. وفي النهاية تأتي الموهبة التي لا يكشفها الإنسان أحيانًا إلا في فترة متأخرة من عمره.

سِـــــر النجـــاح

دخلت معلمة اللغة إلى الفصل وطلبت من كل تلميذ أن يكتب عن شيء شاهده أو حدث له أمس.

قالت أنها ستخصص الدقائق العشر الأولى من الحصة لهذا الموضوع على أن يختار كل تلميذ الموضوع الذي يعجبه والذي يمكن أن يحكيه وقالت لهم .. اكتبوا كل التفاصيل حتى الدقيقة منه .. توسعوا في الوصف بحيث تجعلوا كل من يقرأ يشعر أنه كان معكم .. اكتبوا عن الناس .. الشوارع .. والسيارات والحدائق عن أي شيء يخطر على أذهانكم.

وبتكرار هذه العملية يوميًا أصبح التلميذ قبل أن يدخل الفصل يجهز في ذهنه موضوعًا لكتابته .. وأصبحت عادة لدى كل التلاميذ أن يكتبوا كل يوم.

وذات يوم سيظهر من بين هؤلاء التلاميذ .. الكاتب والصحفي والشاعر والروائي.

وحتى من يصبح منهم طبيبًا أو مهندسًا .. سوف يكون أديبًا .. يقرأ ويكتب أيضًا.

هذه التجربة حدثت في السويد .. وهذه المدرسة ترى أن العامل يكسب المهارة الفنية من الممارسة والتلميذ إذا ظل يمارس الكتابة باستمرار فإنه سوف يكتسب هذه المهارة.

وعلى المدرس أن يكتشف هذه المهارات داخل تلاميذه .. ومن هنا يهتمون في الدول المتقدمة بمدرس اللغة .. لأنه هو الذي يكتشف الموهبة مبكرًا .. ولأنه صاحب المهنة التي لا ينساها التلميذ أبدًا فقد ينسى مدرس الجغرافيا أو مدرس العلوم أو مدرس الكيمياء ولكنه أبدًا لا ينسى مدرس اللغة التي يتعامل معها ويستخدمها طوال حياته.

ولا نريد أن نقارن ذلك بما يحدث عندنا مع مدرس اللغة العربية فهو صاحب أخطر مهنة .. ومع ذلك لا تهتم الدولة به .. ويسخر منه الفنانون في مسرحياتهم وأفلامهم .

ان اكتشاف المواهب المتناثرة في اقاليمنا يقتضي الاهتمام بمدرس اللغة العربية وأن نغرس في نفوس أطفالنا انهم يمكن أن يكونوا عظماء في المستقبل كل في مجال تخصصه وطبقًا لاهتماماته وطموحاته ولا بد أن نساعدهم في ذلك وأن نقنعهم بأن النجاح يقتضي أن يكون لدى الإنسان إرادة قوية وقدرة على تحمل المتاعب وعدم التسليم بالأمر الواقع ما دام غير مقتنع به.

لقد واجه كل ناجح من قبل متاعب لا حصر لها .. ولأنه قاوم وصمد فقد نجح .. وهذا هو سر النجاح.

(ستانلي ماتيوز) أعظم لاعب في تاريخ كرة القدم الإنجليزية فقد توجه وهو في العاشرة من عمره إلى أحد مدربي كرة القدم بأحد النوادي المحلية الإنجليزية ولما شاهده المدرب يلعب .. قال انه لن يصلح لاعب كرة على

الاطلاق .. فهو يفتقد خصائص لاعب الكرة ولكن من كان يصدق أن ستانلي ماتيوز سيكذب التنبؤ.

وما حدث للفنان الإيطالي ليونارد دافنشي مع لوحته الموناليزا يعتبر درسًا لكل فنان شاب .. فبعد أن رسم هذه اللوحة ليبيعها لزوج الفتاة الذي طلب ذلك لكن دافنشي فوجىء بالزوج يرفض شراءهـا لأنهـا كما قال .. لا تشبه زوجته كما أنها ليست جميلة مثلها.

ولم يكن أمام الفنان العظيم غير أن يحتفظ باللوحة وتحول إلى المسرح باحثًا عن مصدر رزق فرسم المشاهد واهتم بالأزياء والاضاءة والستار وابتكر فكـرة المسرح الدائـري حتى بدأ يعـرف طريقـه إلى الشهرة وظهرت لوحة الموناليزا وعرف العالم قيمتها ولو كان الزوج قد اشتراها لما كنا سمعنا عنها..

باختصـار يمكننا القول أن الفنان الأصيل هو الذي يصر على المضي في طريقه مهما قال الناس عنه ما دام مقتنعًا بما يفعل.

عندما كان أينشيتين صاحب نظرية النسبية في شبابه .. تقدم للالتحاق بمعهـد ميـونيخ الفني .. فرفضه المعهد لأنه لا يبشر بخير واضطر للعمل كسـاعي بريد لكي يواصل دراسته لعلم الفيزياء الذي كان يهواه .. حتى توصل إلى نظريته التى هزت العالم ووضعته في وصف العلماء النابغين .

وعندما فكر (فريد استير) في العمل كممثل في شركة مترو جولدون ماير .. رفضه مدير الشركة وعلل هذا الرفض بأن أذنيه كبيرتان .. وشكل ذقنه غير طبيعي وهو لا يصلح أن يكون ممثلاً على الاطلاق.

ولكن التقدير كان خاطئًا إذ أن العالم عرف فريد استير بعد ذلك كأفضل نجوم الأفلام الاستعراضية الأمريكية في الأربعينيات والخمسينيات.

وفي عام ١٨٣٢ تقـدم شاب ليدرس الموسيقى في الرويال كونسرفتوار في

ميلانو .. فرفضه المدير قائلاً : إنه لن يرجى منه نفع في عالم الموسيقى وكان الشاب هو (جوزيف فيردى) المؤلف الموسيقي الشهير.

وفي عام ١٨٥٤ أعطى أحد المدرسين الفرنسيين (صفرًا) لأحد التلاميذ في مادة الأدب الفرنسي ولكن هذا التلميذ أصبح فيما بعد (إميل زولا) أعظم أدباء فرنسا في القرن الماضي.

وفي عام ١٨٦٩ ذهب شاب ليعمل محررًا في إحدى الصحف المحلية الإنجليزية إلا أن رئيس التحرير رفضه قائلاً: أسف إنك لا تعرف كيف تستخدم اللغة الإنجليزية .. وهذا الشاب هو الأديب الإنجليزي العظيم (رديارد كيلينج) الذي حصل على جائزة نوبل في الأدب.

وفي عام ١٨٨٠ كتب ناظر مدرسة إنجليزية عن أحد تلاميذه يقول أنه مهمل وغير منظم وكثير النسيان .. وترتيبه الأخير بين زملائه فلم يكن هذا التلميذ سوى (ونستون تشرشل) رئيس وزراء بريطانيا .

وفي كتاب ديفيد فروست عن أسوأ القرارات في التاريخ .. يقول أن القرارات التي اتخذتها لجنة جائزة نوبل تعتبر أسوأ القرارات ففي السنوات العشر الأولى منحت اللجنة جوائزها لأدباء مغمورين لا يكاد يعرفهم أحد .. رغم أن الساحة الأدبية كانت تذخر بأسماء عظيمة لا يختلف عليها اثنان مثل هنريك ابسن وهنرى جيمس وإميل زولا وجوزيف كوزار والأديب الروسي العظيم ليو تولستوى الذي مات عام ١٩١٠ ولم يحصل عليها.

وفي عام ١٩٧٠ رفضت إحدى دور النشر البريطانية رواية لكاتب إنجليزي هو (فريدريك فورسيت) عن محاولة لاغتيال الجنرال ديجول وعندما قبلتها دار نشر أخرى وزعت الرواية ٨ ملايين نسخة خلال بضع سنوات.

وفي عام ١٩٥٥ قرر صاحب إحدى شركات تسجيل الاسطوانات الصغيرة

بيـع حقوق تسجيل إسطوانات مطرب أمريكي مغمور إلى إحدى الشركات الأخرى بحوالي ٣٥ ألف دولار لحاجته إلى المال.

وبعد عدة سنوات اتضح أن هذا المطرب المغمور لم يكن سوى (الفيس برسـلي) .. الذي وزعت الشركة مليارًا من اسطواناته .. وكسبت من ورائه الملايين من الدولارات.

ومما يروى عن بطل العالم للملاكمة جولويس أنه في طفولته لاحظت أمه يده النحيلة وأطرافه الضعيفة فذهبت إلى الطبيب الذي أكد لها أن جولويس لا يستعمل يديه أبدًا نتيجة الضعف العام الذي عانى منه ولا بد أن تحاول تدريبه على استخدام يديه .. فراحت الأم تستفيد من كلام الطبيب وأخذت تدربه على استخدام يديه.

اشتـرت له الألعـاب التي تسـاعده على ذلك .. وبمرور الأيام تحسنت صحته وأصبح يستخدم يديه أكثر مما يجب فقد أصبح بطلًا للملاكمة على مستوى العالم.

أما الفنان همفرى بوجارت أشهر من قام بأدوار العنف على الشاشة فقد واجه مشكلة في بداية حياته كادت تحطمه لولا أنه صمم وقاوم وحقق لنفسه النجاح. كان قد أصيب أثناء الحرب العالمية الأولى بشظية قنبلة أدت إلى شلل في شفتـه العليـا .. وأصبح عليه أن يبحث عن عمل آخر بعيدًا عن السينما خصوصًا بعد أن أكد له الأطباء أنه لا يستطيع أن يمثل لأنه ينطق الحروف مبتورة وأن صورته على الشاشة ستكون مشوهة.

لكن همفري لم ييأس .. ظل يبحث عن دور يناسبه ويحاول اقناع بعض المخرجين باستخدامه في أفلامهم حتى وجد أحد المخرجين أن الشلل في شفته يجعله يظهر أكثر قسوة وتشددًا فأسند إليه دورًا كبيرًا في أحد أفلامه فنجح ودخل بذلك عالم النجاح في السينما.

المحبــــطون

النجاح حلم بشري يسعى إليه الإنسان منذ بداية الوعي ، البعض ينجح بجهده وعرقه وآخرون يظهرون أمامنا وكأن النجاح هو الذي سعى إليهم.

وفي كل مجالات الحياة هناك الذي تعب وتعذب وناضل من أجل أن يحقق شيئًا حلم به.

وهناك أيضًا من لم يفعل شيئًا ولكنه حصل على شيء كان يحلم به.

ويتساوى الاثنان في النهاية .. الذي تعب والذي نال كل شيء دون أي جهد.

والأسوأ من كل ذلك أنك أحيانًا تجد من تعب لم يحقق شيئًا لأن الآخر حصد كل شيء.

هذا الآخر .. هو السوس الذي ينخر في عظام المجتمع .. فقد تسلق جبل النجاح بمساعدة آخرين هوايتهم إحباط المجتهدين.

ونحن بسذاجتنا نطلق على هذه الظاهرة الواسطة أو الكوسة وأحيانًا نسميها الحظ والنصيب.

ولكن القانون أحيانًا يسميها رشوة أو سرقة .. أو نصبًا أو خيانة .

أقول أحيانًا .. لأن كل هذه الحالات لا تقع تحت طائلة القانون .. فالمتهمون أذكياء يحصنون انفسهم ويحيطون سلوكهم بسرية تامة .. ويدفعون بكثرة فلا أحد رأى .. أو سمع أو قال شيئًا.

ويرى الشاب امامهم نماذج في المجتمع تثير العجب وتغذي الإحباط داخل نفوسهم، فالذي اجتهد ما زال في موقعه والذي أهمل ارتفع .

وفي عالمنا الثالث تنتشر طبقة من البشر لا هم لها إلا نشر الإحباط وقتل أية موهبة والوقوف في طريق أي ناجح أو متطلع إلى النجاح.

هؤلاء المحبطون هم الذين قالوا لنابليون أن جبال الألب الشاهقة ستمنعك من استكمال انتصاراتك وزحفك لغزو إيطاليا .. لكنه كان أقوى منهم حين صاح فيهم قائلًا حينئذ يجب أن تزول هذه الجبال.

فعادوا يمارسون هوايتهم وقالوا له إن في الحياة أشياء يستحيل على الإنسان تحقيقها .. لأن قدراته محدودة .. وإمكاناته مهما بلغت ستعجز عن تحقيق كل أحلامه .

فقال نابليون من قال لا أقدر قلت له حاول ..

من قال لا أعرف .. قلت له تعلم ..

ومن قال مستحيل .. قلت له جرب ..

إن هذه الروح المشبعة بالتحدي هي التي تقودك إلى تحقيق أحلامك .. ومواجهة أعداء النجاح الذين في قلوبهم مرض.

وهذا يقتضي أن تتعرف أولًا على إمكانتك وأن تعيش بصدق لحظة تحديد هدفك وهو ما فعله كل الناجحين في الحياة.

هل لديك موهبة؟

هل سألت نفسك يومًا هذا السؤال: هل أنا موهوب؟! أو بعبارة أخرى .. هل لديّ موهبة سواء في الكتابة الأدبية أو الرسم أو الموسيقى أو في الألعاب الرياضية أو المجالات المهنية والحرفية؟!

وإذا لم يكن هذا السؤال قد ثار في ذهنك فهل سمعته من صديقك أو أستاذك أو أحد أفراد أسرتك.

وإذا لم يكن هذا ولا ذاك .. فأنت مقصر في حق نفسك .. هذا ما يقوله علماء النفس في مختلف دول العالم من خلال دراسات لا حصر لها أجروها على عدد كبير من الأطفال والشيوخ وخرجوا بنتيجة واحدة وهي أن كل إنسان مهما كان شأنه موهوب، هذه هي القاعدة العامة أما الاستثناء فهو انعدام الموهبة.

والمـوهبـة في معناها المبسط هي الذكاء والنبوغ والتفوق على الآخرين فعلماء اللغة يقولون أن الهبة أو العطية يمنحها الله للإنسان فيصبح موهوبًا..

لكن علماء النفس يقولون أن الموهبة لا تشترط توفر الذكاء الحاد .. بل أن النبوغ في أي مجال يعني أن صاحبه موهوب أي أن المسألة تعتمد أساسًا على أن يعرف الإنسان قدراته و إمكانياته ويوظفها لخدمة هدف واحد .. فمثلاً من غير المعقول أن نجد شابًا أو فتاة يهوى الرسم ويمارس الموسيقى ويكتب الشعـر والقصـة القصـيرة ويسعى لأن يكون بطلاً رياضيًا .. صحيح أن الإنسان يمكنه أن يمارس كل هذه الأعمال ولكن من باب الهواية .. لكن إذا أراد أن يظهر موهبته أي يتفوق على الآخرين ويحقق نجاحًا ملموسًا فعليه أن يركـز في مجال أو اثنين والتركيز معناه بذل جهد أكبر في هذا المجال .. ومحاولة التعلم والبحث عن الجديد باستمرار.

واتصـور أن أية موهبة صادقة لكي تنمو فهي تحتاج إلى مناخ صالح تتـرعـرع فيه .. واقصد بذلك أن الموهبة تحتاج بين الحين والآخر إلى من يرعاها .. ويشجعها لأن كلمات التجريح يمكن أن تكون عامل هدم .

واتصور أيضًا أن صاحب الموهبة الحقيقية عليه أن يتسلح بالصبر لكي يمضي في طريقه ويحقق هدفه.

الشاب .. كيف ينمي موهبته؟

وسـواء كانت الموهبة هي الكتابة .. أو البحث أو الاختراع أو الفن .. فالقضية واحدة ..

والسؤال يواجهنا منذ مئات السنين .. ويطرح تقريبًا في كل جيل.

فالمـوهبة تحتاج في معظم الأحيان إلى من يكتشفها ويعطيها الفرصة .. لكنها أيضًا تظهر رغم العقبات التي يضعها الآخرون أمامها..

هناك مواهب تظهر في سن مبكرة .. وهناك أخرى لا يعرفها أحد إلا في نهاية العمر. والمهم في كل ذلك أن الموهبة لها زمان تظهر فيه هكذا أراد الله سبحانه وتعالى.

فمثلاً عرف الناس فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي بعد أن تجاوز الستين من عمره.

وعباس محمود العقاد ألف أول كتاب له قبل أن يكمل عامه العشرين .. ورغم أنه لم يكمل تعليمه بعد المرحلة الابتدائية.

د. طه حسين كفيف: ومع ذلك أصبح عميد الأدب العربي.

عادل إمام .. بكل المقاييس ليس وجها سينمائيًا جميلاً لكنه الآن أغلى نجم في العالم العربي.

محمد عبد الوهاب يعاني من عيب خلقي في نطق حرف (الثاء) .. ومع ذلك فهو أكبر موسيقار ومطرب عربي .

والأمثلة لا حصر لها .. وكلها تؤكد أن الموهبة لا بد أن تظهر مهما كانت المتاعب .. وإلا فلماذا خلقها الله؟

وأمام هذه الموهبة في رأيي المتواضع شيئان على قدر كبير من الأهمية .. هما الصبر وتنمية هذه الموهبة.

وأعني بالصبر عدم اليأس .. وتحمل المتاعب وأما تنمية الموهبة فلها طرق عديدة منها التعمق في مجالها ودراستها بشكل علمي .

فعباس العقاد الذي لم يكمل تعليمه .. استطاع بجهده الشخصي أن يتقن الإنجليزية.

كان العقاد يقرأ كثيراً .. والنصيحة التي يمكن أن نخرج بها من حياته هي أن تقـرأ كل شيء يقع تحت يديك .. فالذاكرة تختزن كل المعلومات .. وإلى

جانب هذا الاطلاع الواسع لا تنس أيضًا أن تركز أكثر على مجال تخصصك سواء في العلم أو الشعر أو القصة أو المقالة .. أو الفن ..

* * *

مرة سألت الكاتب الكبير انيس منصور عن النصيحة التي يوجهها للشبابُ الذي يحب القراءة.

فقال: القراءة .. فليست هناك كتب محددة تصنع كاتبًا .. كل كتاب له فائدة بشكل أو بآخر ويرى أنيس منصور أن القراءة الكثيرة لا تجعل الإنسان ينسى معلوماته القديمة.

يقول .. انه في أحيان كثيرة وهو يكتب تقفز إلى ذهنه معلومة يتذكر أنه قرأها منذ سنوات عديدة تاتي في لحظة معينة وفي موقف معين فيسجلها .

وهذا يعني أن القراءة الكثيرة في كل شيء مفيدة لأى إنسان يريد أن يمتهن الكتابة.

والنصيحة التي يقدمها وليم راند لف هيرست مؤسس امبراطورية صحف هيرست لكل موهبة جديدة هي أن يتقن تراث اللغة التي يتكلم بها .. والتراث الكلاسيكي للغات الأخرى حسب طاقته.

ويجب عليه أن يعرف تاريخ شعبه وبلاده .. وتاريخ البلاد والشعوب التي ينحدر هو وجيرانه منها.

كما يجب أن تكون لديه معلومات عامة في السياسة والاقتصاد والفنون والعلوم .. ويرى هيرست أنه كلما اتسعت معلومات صاحب الموهبة أو الكاتب الجديد .. تمكن من أداء واجباته باتقان.

* * *

لا تصدق النقاد إذا هاجموا كتابك الأول .. أو روايتك الأولى .. أو قصيدتك الأولى لا تستسلم لكلام الناشرين إذا رفضوا عملك الإبداعي فالناشرون والنقاد .. هم أكثر الذين يهددون نجاح المواهب الجديدة في معظم الأحيان.

النقاد .. هم الذين هاجموا كل العظماء في بداية حياتهم الأدبية.

جوته أكبر شعراء المانيا .. قال عنه ناقد مجلة «ادنبره» أن كل ما كتبه جوته «كلام فارغ».

وناقد مجلة «العالمين» الفرنسية ـ قال عن بلزاك الروائي الفرنسي الكبير: ان مكانته في الأدب لن تكون عالمية أو محترمة .. لأن خياله محدود وقدرته على إظهار العواطف وابتكار عقدة الرواية محدودة.

وناقدة الفيجارو ـ قالت عن الكاتب الفرنسي جوستاف فلوبير أنه ليس كاتبًا.

وقال النقاد عن جون ملتون الشاعر البريطاني .. أن شهرته مثل شمعة في مهب الريح ستطفأ .. وأن ذكراه ستستقر في مستنقع.

حتى شكسبير لم يسلم من النقد .. قال عنه برنارد شو أنه لا يحتقر كاتبًا كما يحتقر شكسبير .. وأنه يتمنى أن يحفر قبره ويلقي الحجارة على جثمانه .

والكاتب المسرحي البريطاني أوسكار وايلد قال عن أميل زولا أنه كاتب ممل .

وقال الكاتب الفرنسي الفونس دوديه عن زولا .. من الأفضل له أن يشنق نفسه على أعلى شجرة .

وقالت ناقدة عن ارنست هيمنجواي أنه لا يكتب أدبًا!

* * *

وفي زماننا هذا .. لا يوجد ناشر يجازف بطبع وتوزيع كتاب لمؤلف جديد يعرف أنه لن يحقق ربحًا.

الناشر يبحث عن الأسماء المشهورة .. والموضوعات المثيرة التي تجد عددًا كبيرًا من القراء.

وفي أحيان كثيرة يكون تقدير الناشر غير دقيق .. فالكتاب الذي يرفضه أحدهم خوفًا من الخسائر .. قد يقبله آخر ويحقق نجاحًا مذهلاً.

لهذا فإن المؤلف الجديد أو صاحب العمل الإبداعي يجب أن يكون صبورًا .. وواثقًا بنفسه إلى درجة أنه إذا رفضه ناشر يتقدم إلى غيره .. فالنجاح قد لا يأتي من المرة الأولى .. أنه في أحيان كثيرة يأتي بعد أكثر من عشر محاولات والأمثلة كثيرة.

فالروائي الايرلندي جيمس جويس .. قدم أولى رواياته لأكثر من ٢٢ ناشرًا كلهم رفضوا نشرها .. وقبلها الثالث والعشرون وبدأ اسمه يلمع حتى أصبح كاتبًا يتهافت على إنتاجه الناشرون والكاتب الأمريكي لويس لامور .. قدم أولى رواياته عن رعاة البقر إلى ٦٢ ناشرًا رفضوها جميعًا وظل يبحث عن ناشر دون يأس .. ولما ظهرت أولى رواياته وبدأت السينما تصور بعض هذه النوعية من القصص .. التفت إليه الناشرون .. وبلغ عدد الكتب التي نشروها له بعد ذلك ٨٠ رواية وزعت ١٠٠ مليون نسخة .

والحديث عن أخطاء الناشرين في التعامل مع الأعمال الإبداعية لا ينتهي .. فرواية مثل الحرب والسلام لتولستوي .. رفضها الناشرون أول الأمر .. ثم عاد أحدهم ونشرها فحققت نجاحًا .. مذهلاً ونفس الشيء حدث مع رواية ذهب مع الريح .

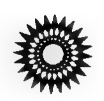
ومن أغرب الحكايات تلك التي يرويها الكاتب الأمريكي جيمس ثيربر .. فحين قدم أولى قصصه لمجلة (نيويوركر) رفضتها وبعد فترة ارسلها مرة

أخرى فرفضتها أيضًا .. وظل مسلسل الارسال والرفض لعشرين مرة .. لأنه كان في هذه القصة يصور رجلًا يدخل من باب دائري فيظل يدور فيه إلى ما لا نهاية .. وخلال دورانه يصف ما يرى .. وما يعتمل داخل أعماقه.

والمجلة التي رفضت نشر هذه القصة هي التي عادت بعد عدة سنوات لتحتكر نشر إنتاج ثيربر القصصي.

وحين ذهبت الكاتبة الأمريكية جوديت جيست بروايتها «ناس عاديون» إلى أحد الناشرين .. رفضها قائلًا: أنها رواية تافهة فذهبت إلى ناشر آخر رأي أنها جيدة .. ونجحت الرواية وأنتجت كفيلم سينمائي .. وحصلت المؤلفة بعد هذا النجاح على مليون ونصف المليون دولار.

لا تقل أنه الحظ .. بل قل أنه الاصرار على النجاح .. وعدم تصديق كل ما يقال .. والسعي إلى لحظة ينتظرها كل أصحاب المواهب الحقيقية .. وهي تلك التي تتسلل إلى نفوسهم.



زمن المفاوضات

كان شكسبير يقول أن الدنيا مسرح كبير يقوم كل منا على هذا المسرح بدور ما ..

أما الكاتب الأمريكي الشهير «هيرب كوهني» فيرى أن الدنيا مائدة مفاوضات كبيرة يجد الإنسان نفسه جالسًا أمامها شاء أم لم يشأ .. فإذا أحسن المفاوضات نجح في حياته .. وإلا فالعكس صحيح أيضًا.

وهيرب واحد من أفضل المفاوضين في العالم .. عمل ٣٠ عامًا في مجال المفاوضات من خلال عمله كمستشار لبعض الشركات والوكالات الأمريكية .. بالإضافة إلى خبرته التي اكتسبها في المؤتمرات الدولية والتدريس بالجامعات.

وهو يرى أن الإنسان إذا كان يريد تحقيق أحلامه والحصول على ما يريد في هذه الحياة ..

فمن الضروري أن يقتنع بأن الطريق إلى ذلك يقتضي أن يكون بارعًا في التعامل مع جميع المحيطين به والمتعاملين معه .. وأن يكون مدركًا بأهمية أسلوب التفاوض في حل جميع المشكلات.

والمفاوضة أسلوب أصبح الآن سمة من سمات عصرنا .. ومعظم المشكلات العالمية حاليًا تجد في هذا الاسلوب الطريق الوحيد للحل .

والمفاوضة أسلوب يعتمد على استخدام المعلومات والامكانيات للتأثير في السلوك ..

والذي يقوم بهذا يدرك تمامًا أن شقاءه وسعادته يتوقفان على كيفية ادارته للمفاوضات مع هؤلاء الذين يقابلهم في حياته اليومية أو في عمله .

والمفاوضات الناجحة تعتمد على ثلاثة عناصر هي القوة والوقت والمعلومات.

والقوة لها مصادر عديدة منها (قوة المنافسة) فعند التفاوض لابد أن توهم الطرف الآخر بأن لديك خيارات أخرى .. وأن توهمه أيضًا بأن هناك أطرافًا أخرى على استعداد لتلبية مطالبك والموافقة على أفكارك.

وهناك (قوة المخاطر) بشرط ألا تجازف قبل أن تحسب حساب كل شيء حتى لا تتعرض للخسارة .. والمخاطرة لا تعني التهور عندما تضيق بك الأحوال .. بل تعني الشجاعة المصحوبة بادراك عام لكل الظروف المحيطة بالموقف.

* * *

والمعلومات هي سلاحك عندما تجلس على مائدة المباحثات أو المفاوضات أو مائدة الحوار كما يسمونها أحيانًا .. إذا كانت هناك مشكلة معلقة تحتاج إلى حل .. ويمكنك الحصول على هذه المعلومات من (الطرف الآخر) بطريقة لبقة.

حاول الا تبدو عدوانيًا .. وكن متواضعًا .. وأكثر من الأسئلة حتى إذا كنت تعرف اجاباتها .. لكي تخلق جوا من الود أيضًا يمكنك الحصول على المعلومات من أصدقاء الطرف الآخر ومن خصومه حتى تكون لديك معلومات كثيرة وكافية ليكون موقفك قويًا.

وفي تعاملك مع الآخرين لابد أن تدرك حقيقة هامة وهي أن الزمن ينافسك وكلما مر الوقت وأنت في مكانك لم تنجز شيئًا فمعنى ذلك أنك في طريقك إلى الفشل.

وحينما تدخل في مفاوضات مع خصمك .. يجب أن تعرف مقدماً موقفه من الوقت .. وهل حدد لنفسه وقتًا ينتهي فيه من المفاوضات وما هو هذا الوعد النهائي.

وأهم مثال على ذلك .. ما حدث في الحرب الأمريكية الفيتنامية فعندما ألح الأمريكيون على الفيتناميين لبدء مفاوضات انهاء الحرب .. تأخر الفيتناميون .. وظهروا كأنهم على استعداد لاستمرار الحرب ١٠ سنوات أخرى .. رغم أن هذا لم يكن موقفهم الحقيقي وظل الفيتناميون على هذا الأمر حتى اقتربت انتخابات الرئاسة الأمريكية .. وقبلها بخمسة شهور فقط قبلوا المفاوضات في باريس.

وبناء على ذلك أسرع رئيس الوفد الأمريكي متوجهًا إلى هناك .. واستأجر حجرات بفندق على أساس ايجار اسبوعي .. وكان ذلك يعني أنه لا ينوي البقاء بالفندق مدة طويلة.

أما الفيتناميون فقد استأجروا فيلا خارج باريس لمدة عامين ونصف العام .. مستغلين بذلك عنصر الوقت الذي كان في صالحهم ولهذا كانت النتيجة ان الاتفاقيات لم تنه الحرب بطريقة ترضي الأمريكيين.

وهناك مثل آخر يرويه (هيرب كوهنى) من خلال عمله كمستشار لاحدى الشركات الأمريكية الكبرى .. فقد كلفته الشركة بالتفاوض مع اليابان حول مشروع تريد تنفيذه .

وذهب هيرب إلى طوكيـو حيث كان في استقباله اثنان من اليابانيين وفي الطريق أثناء تبادل كلمات الود والتحية سألاه بشكل عادي جدًا عن مدى معرفته باللغة اليابانية وهل سبق له أن زار بلادهم .. وما هي معلوماته عنها .. كما سألاه عن موعد رحيله لاعداد السيارة التي ستنقله إلى المطار واتخاذ اجراءات الحجز في الطائرة.

وبسـلامـة نية رد على الأسئلة .. وأبلغهما بموعد رحيله وكان بعد ١٥ يومًا.. وهو الورقة الرابحة التي استغلها اليابانيون حيث ضيعوا في كرم الضيافة ١٢ يومًا ابتداء من الترحيب به وتعريفه بالعاصمة والمدن المجاورة .. ثم بدأوا المفاوضات حول المشروع الذي جاء من أجله .. وبالطبع لم يكن أمامه غير يومين أو ثلاثة .. وكلما اقترب موعد الرحيل .. كلما اجتهد في انهاء المفاوضات.

وبالطبع لم يقدم اليابانيون تنازلات كبيرة بل كسبوا الجولة من وجهة نظرهم .. وبالطريقة التي اختاروها.

* * *

وإذا كان نجـاح المفاوضات يعتمد على الاستفادة من ثلاثة عناصر هي القوة والوقت والمعلومات .. فان المفاوضات في حد ذاتها أكثر من أسلوب .. لعل أهمها أسلوب الانتصار بأي ثمن .. وأسلوب التفاوض من أجل الرضا المتبادل.

أما الأول .. فمعناه أن المفاوض يرغب في الحصول على ما يريد على حساب الطرف الثاني .. وهذا الاسلوب ينظر إلى الحياة على أنها صراع مستمر بين المكسب والخسارة .. ولهذا يسعى لتحقيق مطالبه بأي ثمن .. أنه يحاول أن يبدو متواضعًا ومتفهمًا لاحتياجات الطرف الآخر ويبدأ المفاوضات بمواقف مبدئية متطرفة وجامدة وعروض سخية حتى تحدث مفاجأة لدى الطرف الآخر.

أما الثاني .. فينظر إلى النزاع على أنه مشكلة تحتاج إلى حل يرضي جميع الأطراف ويقربهم من بعضهم البعض .. ويبدي اهتمامًا بكرامة الطرف الآخر حتى لو كان معروفًا عنه أنه بغيض وسلبي .. وهذا الأسلوب يعتمد على اننا كبشر لسنا متشابهين تمامًا .. واحتياجات الأشخاص ليست متطابقة مع بعضها البعض .. وبالتالي فإنه من الممكن أن يخرج كل إنسان منتصرًا.

وهذه المفاوضات بهذا الاسلوب التعاوني الناجح تقتضي التعرف على ما يريده الطرف الآخر .. وعلى ارشاده إلى طريق الحصول على ما يريده .. في الوقت الذي تحصل أنت فيه على ما تريد.

ولا بد أن تدرك أن أحدًا لن يتفاوض معك إلا إذا كان يعتقد أن باستطاعتك مساعدته .. ومن هنا يجب أن تقنعه بذلك ..

في عام ١٩٦٣ التقى مارك مكورماك أحد مؤسسى الشركة العالمية لادارة الأعمال الرياضية التي تملك فروعًا لها بمختلف دول العالم .. وتحقق سنويًا ملايين من الدولارات كاربـاح .. كان مارك في باريس والتقى في ذلك العام بالرئيس الأمريكي الاسبق ريتشارد نيكسون الذي كان يزور باريس.

يروى مارك ما حدث في هذا اللقـاء قائلاً: تحدث نيكسون معي لبعض الوقت عن الرياضة .. ثم انضم إلينا رجل دين فتحول الحديث إلى الدين وتحـدث معـه نيكسـون عن التعـاليم الدينية والكتاب المقدس ثم تحول الحديث إلى رجال الأعمال بعد أن انضم إلى الجلسة أحد رجال الأعمال.

كان نيسكون يختار كلماته بدقة ويتحدث بثقة وبأسلوب مشوق وانتهى اللقـاء باعجاب شديد بثقافة هذا الرئيس الأمريكي .. وتمر الأيام وتتكرر اللقـاءات مع نيكسـون ليكتشف مارك مكورماك أن الرئيس الأمريكي يكرر نفس الجمل ـ وأنه يحفظ خمس جمل تصلح للرياضيين وخمس جمل أخرى لرجال الدين وخمسًا لرجال الأعمال وهكذا.

ويومها قال مارك أن هذه الجمل المحفوظة هي التي ستؤدي إلى سقوط هذا الرئيس ـ فقـد قادتـه هذه المحفوظات إلى السقوط في فضيحة «ووترجيت» فالناس قد تنخدع بالكلام لفترة ولكنها في النهاية تريد الأعمال.

والخلاصة التي يريد مارك الوصول إليها من وراء سر هذه القصة هي أنه يجب الا تحكم على الناس بموجب أفكار مسبقة بل يجب أن تستخدم بصيرتك.

هذا ما قاله مكورماك في كتابه الملئ بالحكم والمواعظ (دروس لا تعلمها مدرسة هارفادر) .. ويروي فيه تجربته مع النجاح حتى أصبح قائدًا ناجحًا .. فحين تخرج من مدرسة القانون عمل محاميًا وكان يحب لعبة الجولف .. ثم اكتشف في عام ١٩٦٠ أنه لن ينجح في المحاماة .. كما أنه لن يلمع كنجم

من نجوم الجولف .. فاتجه للأعمال التجارية.

التقى مع ارنـولد بالمير .. واتفقا على تأسيس شركة لادارة أعمال أبطال الجولف وكان رأسمال هذه الشركة في البداية (٥٠٠ دولار) ولانهما يعشقان هذا العمل اعطياه كل الوقت والجهد والفكر .. والآن اصبحت هذه الشركة ضخمة ولها في معظم دول العالم مكاتب وفروع وعن تجربة مارك مكورماك في العمل والقيادة جاء في هذاالكتاب.

يقول مارك : افتح عينيك .. افتح آذنيك .. اغلق فمك .. تتعلم من الناس أكثر. تعرف منهم أكثر .. فتتوقع المستقبل بصورة أفضل وتقود الأحداث.

❊ ❊ ❊

التعامل الناجح مهارة ذاتية ولا توجد قاعدة محددة تؤدي إلى النجاح والتحول إلى زعيم أو قائد ناجح .. هناك فقط عدة نقاط تساعد الساعين إلى الزعامة أنها مجرد عوامل مساعدة فقط وهي خلاصة تجارب مارك مكورماك وهي:

- تحدث أنت أقل من الآخر حتى تفهمه أكثر .. وراجع انطباعك الأول ومن المستحسن اعادة التفكير في هذا الانطباع مع مرور الوقت.

حدد ما تريده بالضبط من الطرف الآخر قبل أن تبدأ الحديث معه.

ولا تبـع معلومـاتـك بسهـولة فأنت غير مطالب بأن تقول للغير حقيقة انطباعك عنهم .. وبمقدار زيادة معرفتك بالشخص تزيد فرصتك في النجاح بالتعـامـل معه ..والعكس صحيح أيضًا فكلما قل ما يعرفه الشخص عن أسلوبـك في التفكـير ومدى اطلاعك على خبايا نفسيته وطريقة تفكيره قلت قدرته على خداعك واخفاء اوراقه عنك.

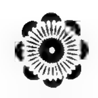
خذ دائمًا جانب الفعل واحذر رد الفعل .. فقد يبدأ الطرف الآخر بعمل ما يستهدف إستفزازك ودفعك إلى اتخاذ رد فعل يفيده فكن حذرًا حتى لا تخسر .. وإذا نجح في ذلك فانه يحتفظ بمركز قيادة الأحداث وكتابة فصول العلاقة بينكما.

عليك أن يكون ردك على أفعال الطرف الآخر هو المزيد من الدراسة والحذر .. حتى لا تتصرف تصرفًا يكون ضد مصالحك.

وأي قائد ناجح يحتاج إلى فلسفة وإلى مجموعة من المعايير العليا تجعل المؤسسة التي يقودها فريدة ومتميزة.

ان الكلمات والخطط لا تكفي .. فالزعماء يقفون للدفاع عن معتقداتهم ويمارسون ما يبشرون به ويظهرون للآخرين المثل الذي يتبعونه أنهم يتصرفون حسب القيم التي ينادون بها..

ان التناسق بين الكلمات والأفعال هو ما يبني مصداقية أي قائد.



أقوى رجل في العالم

لم ينس الكويتيون وهم في غمرة فرحهم بتحرير بلادهم أن يوجهوا الشكر إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش أو مستر بوش طبقًا لتعبير بعض أبناء الكويت.

ومستر بوش أقوى رجل في العالم .. بكلمة منه اندلعت الحرب .. وبكلمة أخرى توقفت المعارك بعد تحرير الكويت.

كانت الولايات المتحدة تقود جميع دول العالم تقريبًا طوال شهور الأزمة حتى الاتحاد السوفيتي (سابقًا) .. القوة العظمى الثانية التي كانت تقاسمها قيادة العالم لم تستطع أن تختلف معها بل وافقت على كل قرار وكل خطوة اتخذتها الولايات المتحدة .. وحينما بدأت الأحداث تميل نحوها وبدأ جورباتشوف يخطف انظار العالم بإعلانه عن مبادرته السلمية لوقف

الحـرب. كان بوش أكثر ذكاء حين اعاد الكرة إلى قدميه مرة أخرى وامسك خيوط الأحداث من جديد فأعطى الانذار النهائي للعراق بالانسحاب.

وظهرت قوة بوش الحقيقية وانتزع التقدير العربي حين اشتعلت الحرب البـريـة وبـدأ يحـرك الأحداث بذكاء ويضغط على العراق ويعيد لصدام الضربـات التي كان قد وجههـا لقيادات العالم منذ بدأت أحداث احتلاله للكويت حين تصورنا يومها أن صدام هو الأقوى وهو الذي يملك أوراقًا أكثر تأثـيرًا في الوقت الذي كانت فيـه الولايات المتحدة تتحرك ببطء اعطى لنا انطباعًا بالقلق والخوف من أن تكون غير راغبة في الحرب.

وظلت الأحداث هكذا حتىٰ بدأت عملية عاصفة الصحراء وحين تعدت الشهر بدأ القلق يساورنا. وظهر السؤال الكبير .. لماذا يتأخر مستر بوش؟!

وجـاءت مبادرة جورباتشوف لتظهر لنا الوجه الآخر لمستر بوش الذي يمسك بخيوط الحل والذي أكد أن الولايات المتحدة هي أقوى دول العالم عسكريًا وسياسيًا وعلميًا.

ويظهر ذلك من خلال حجم القوات التي نقلتها إلى الخليج لتحارب جيش صدام حسين .. كما يظهر من نوعية الأسلحة المتقدمة جدًا والتي استخدم بعضها لأول مرة في الحرب .. وأيضًا من خلال بعض العمليات التي جرت على هامش تحرير الكويت وأهمها تلك العملية العسكرية لوقف ضخ التسرب النفطي من أحد حقول النفط والتي استخدمت فيها قنبلة تم توجيهها باشعة الليزر.

ونجاح بوش في أن يصبح أقوى رجل في العالم لم يأت صدفة بل جاء بعد حياة حافلة بالأحداث معظمها كان أحداثًا فاشلة في حياته.

كان مستر بوش قوي الإرداة طوال عمره مما ساعده على مواجهة كل حالات الفشل التي قابلته في حياته.

والفشل الذي يحتل مكانة واضحة في حياة بوش حيث تكرر معه أكثر من مرة .. وفي أكثر من موقع .. وأكثر من مناسبة .. هذا الفشل لم يمنعه في عام ١٩٨٩ من أن يخوض التجربة من جديد وينجح ويحقق فوزًا ساحقًا على مايكل دوكاكيس ويصبح رئيس الولايات المتحدة.

بدأت تجارب مستر بوش مع الفشل منذ عام ١٩٤٤ حيث لقنته هذه التجربة بالذات درسًا في التصميم والاصرار.

في ذلك الوقت كان طيارًا بالقوات الجوية التابعة للبحرية الأمريكية بعد تخرجه عام ١٩٤٣ من أكاديمية فليبس العسكرية .. وفي الحرب العالمية الثانية كان يشارك في الهجوم على اليابان .. وفي ٢ سبتمبر ١٩٤٤ أصيبت طائرته وسقطت في المحيط ..

النهاية كانت محتومة .. إلا أن القدر كان يريد له الحياة حتى يصل إلى ما هو فيه الآن .. وحتى نتعلم نحن الدرس.

سقطت طائرته .. وقبل أن يودع الحياة انقذته غواصة أمريكية كانت في المنطقة. فكتبت له الحياة من جديد .. وحصل بعد ذلك على وسام الشجاعة.

وكان ذلك أول انتصار يعقب أكبر فشل في حياته.

بعد ذلك التحق بجامعة ييل وحصل منها على بكالوريوس الاقتصاد عام ١٩٤٨ واتجه إلى الأعمال الحرة في ولاية تكساس حيث عمل في مستودع للبترول. ثم في مخازن أحدث الشركات.

وفي عام ١٩٥٣ اشترك في تأسيس شركة بترول ثم تولى إدارة شركة للتنقيب عن البترول.

وبعد ٨ سنوات تقريبًا اتجه إلى العمل في المجال السياسي. رشح نفسه عام ١٩٦٤ لعضوية مجلس الشيوخ وفشل في الفوز بمقعد عن ولاية تكساس.

ولأنه يعتقد أن النجاح أحيانًا لا يأتي من المرة الأولى فقد حاول مرة ثانية .. وفاز بمقعد في الكونجرس ظل فيه من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧٠ .. ولكن الفشل ظل يلاحقه فخسر المقعد عام ١٩٧٠ أمام لويد بنستن الذي كان دوكاكيس قد رشحه كنائب له في حالة فوزه.

ولم ييأس بوش .. ظل يعمل باخلاص واصرار في كل المواقع التي شغلها ممثلًا لبلاده في الأمم المتحدة عام ١٩٧١ ورئيسًا للمجلس القومي للحزب الجمهوري عام ١٩٧٣ وسفيرًا لواشنطن في الصين عام ١٩٧٤ .. ومديرًا لوكالة المخابرات الأمريكية حتى عام ١٩٧٦.

وعاد الفشل يطرق بابه من جديد عام ١٩٨٠ حين سقط أمام رونالد ريجان .. لكن الاصرار الذي كان يكبر داخله يومًا بعد يوم ساعده بعد ذلك حتى تحقق الفوز فقد نجح وهو يقترب من عامه الرابع والستين في أن يكون رئيسًا للولايات المتحدة وينجح في أول اختبار قوي قبل شهور من بدء حملته الانتخابية للترشيح لفترة رئاسية ثانية لأقوى دول العالم.



المـرآة والسياسة

السياسة التي لعنها الإمام العظيم محمد عبده .. ولعن معها كل لفظ يأتي من تلك الكلمة .. هي نفسها التي تشغل العالم منذ بدء التاريخ ..

أنها ليست ـ فقط ـ رجلاً محنكًا يناور من أجل أن يصل إلى هدفه.

بل هي ـ أيضًا ـ أمرأة تفيض أنوثة .. ورقة تشارك الرجل مناوراته .. تدفعه إلى هذه المناورات أو تقف حجر عثرة في طريقه.

وتاريخ المرأة مع السياسة طويل جدًا .. فمنذ ٢٦ قرنًا تقريبًا قال يوليوس قيصر .. أنا أحكم العالم وزوجتي هي التي تحكمني والمعنى مفهوم بالطبع.

ويوم تزوج الزعيم المصري مصطفى النحاس من السيدة زينب الوكيل كتب عباس العقاد مقالاً غاضبًا يتساءل عن أسباب هذا الزواج فقد كانت زينب جميلة وصغيرة وكان مصطفى النحاس كبيرًا في السن ويرأس الحكومة المصرية قبل الثورة.

وحين اندهش بعض الناس من تدخل العقاد في هذه المسألة التي تعتبر شخصية إلى حد كبير .. قال العقاد يومها أن مصطفى النحاس ليس رجلاً عاديًا أنه رئيس الحكومة .. وكل سلوكه وطريقة تفكيره تنعكس بشكل أو بآخر على الناس .. ولهذا فإن كل ما يتعلق به يعني الجميع، هؤلاء الذين يريدون أن يطمئنوا إلى أن الذي يحكمهم هو الرجل الذي يعرفونه وليس زوجته الشابة التي قد تسيطر عليه بجمالها وشبابها وذكائها أو غبائها.

* * *

والتاريخ الحديث يمتلئ بنماذج كان للمرأة تأثير كبير على السياسيين ووصلت الأمور في بعض الأحيان إلى أن المرأة تكون حجر عثرة في طريق هؤلاء الزعماء وفضيحة كريستين كيلر مع وزير الدفاع البريطاني جون بروفيومو عام ١٩٦٩ .. ما زالت معروفة وخاصة بعد احيائها من خلال قصة فيلم يروي هذه الفضيحة منذ عدة سنوات .. وهي الفضيحة التي تسببت في اسقاط حكومة هارول ماكميلان ..

وهناك أيضًا فضيحة سيسيل باركنسون وزير الطاقة البريطاني وسكرتيرته (ساراكين) التي تسببت في استقالته من حكومة مارجريت تاتشر..

ومنذ عام ١٩٨٨ كانت صحف العالم لا حديث لها من بين أحداث اليونان إلا عن حكاية باباندريو ٧٠ عامًا رئيس الوزراء اليوناني ومضيفة الطيران دميتريا لياني ٣٤ عامًا التي من أجلها طلق زوجته .. وخسر بعد ذلك مستقبله السياسي حيث سقط في الانتخابات ودخل في دعاوي قضائية متهمًا بالفساد.

* * *

وفي الولايـات المتحدة الأمريكية ظهرت خلال السنوات الأخيرة كتب كثيرة تتحدث عن الفشل السياسي الذي أصيب به كبار الساسة بسبب المرأة ابتداء من الرئيس جون كيندي حيث ألف إحدى عشيقاته وتدعى (جوديت اكستر) كتابًا عن علاقتها به .. وقصة جون مع مارلين مونرو معروفة أيضًا وقديمة.

والسينـاتـور جاري هارت قضت على مستقبله السيـاسي امرأة تدعى (دونارايس) التي نشرت الصحف لهما صورًا على يخت في ولاية فلوريدا..

وأصبحت متـابعـة علاقـة السيـاسيـين بالمـرأة وكشف الفضائح أحد الموضوعات المهمة في الصحافة الأمريكية خلال السنوات الأخيرة ..

وفي عالم السياسة أيضًا .. امرأة تدفع زوجها إلى النجاح ولا تقف عقبة في طريقـه .. ويمكن الحـديث في هذه النقطة بالذات عن زعماء كثيرين لم نر لزوجـاتهم بروزًا واضحًـا في الحياة العامة .. ولكن الزوجة كانت تفهم أن دورها الحقيقي هو أن تبقى في الظل تربي أولاده وتوفر له الجو الهادىء داخل المنزل حتى يتفرغ هو لشئون الدولة .. فنحن مثلًا .. لم نر أي نشاط سياسي لزوجة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في حياته .. عكس ما كانت عليه جيهان السادات .. ووسيلة بورقيبة ونانسي ريجان .

* * *

والنموذج الثالث في عالم المرأة السياسي .. أو في عالم السياسة الذي تؤثر عليـه المـرأة .. وهي التي تتفـوق فيـه المـرأة على الرجـل .. حيث تدخل بشخصيتها وتحكم مجتمعًا من الرجال فمن انديرا غاندي إلى مارجريت تاتشر إلى كورازون اكينـو .. وحتى اديت كريسون في فرنسا .. إنه نموذج المرأة الحديدية التي تحكم بذكاء.

واديت كريسون امرأة حديدية ولكنها رقيقة أيضًا .. كسبت ثقة الجمعية الوطنيــة في مواجهة الهجوم العنيف من جانب المعارضة .. التي دعت إلى سحب الثقة من حكومتها واجراء انتخابات تشريعية قبل موعدها الرسمي بسبب قضية جورج حبش .

واعتبـرت اديت ان حصولها على هذه الثقة يعزز السياسة الاقتصادية التي تنفذها .

لكن الحــادث الأكثر أهمية لهذه المرأة الحديدية التي تفيض أنوثة هو الدعـوى القضــائيــة التي اقـامتهـا ضد (جان ماري لوبن) زعيم الجبهة اليمينية المتطرف لتبدأ بذلك حملتها الانتخابية الجديدة بأسلوب أكثر حزمًا وأكثر قوة.

كان جان ماري لوبن قد اتهم اديت بأنها تدير عصابة من اللصوص والقتلة..

الاتهام قاس وعنيف .. ومهين أيضًا ..

لكن الشعب الفرنسي يعرف أن جان ماري لوبن سليط اللسان وكثيرًا ما يستخدم ألفاظًا خارجة في هجومه وانتقاداته ..

لكن اديت كريسون لاحظت خلال الشهور الأخيرة ان الجبهة اليمينية المعــارضة حققت تقدمًا كبيرًا على المستوى الشعبي من خلال اثارة قضية الهجرة والبطالة في فرنسا .. وهي القضية التي تقلق الغالبية العظمى من الفرنسيين ..

وبذكاء المرأة رأت اديت أن مخاصمة جان ماري لوبن قضائيًا يعني أنها حامية حمى الاشتراكية .. فبعد ردها على اتهامات واقامة الدعوى حققت أول خطوة بتوحيد صفوف وزرائها خلفها .. وكانت الخطوة أو المكسب الثاني هو جذب تعاطف النواب الاشتراكيين ..

ولعل هذا يفسر لماذا كسبت ثقة الجمعية الوطنية في قضية حبش .. لقد كانت بذلك تستعد للانتخابات المقبلة وبيدها أوراق كثيرة تؤهلها للنجاح ولكن الظروف تغيرت .. وقرر الرئيس الفرنسي قبول استقالتها في أبريل ١٩٩٢.

واديت تهتم بالسياسة منذ سنوات صباها الأولى هي نفسها تروي ذلك فتقول أنها كانت في الخامسة من عمرها عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية وبدأ الألمان يزحفون على فرنسا .. في تلك الفترة تركت مارسيليا المدينة التي ولدت فيها.

واديت تعترف في كتابها مع الشمس بأنها كانت تكره طفولتها لأنها لم تكن متوازنة .. فلم يكن لديها غير وقت قصير للعب وفي سن الثامنة ألحقها أهلها بمدرسة داخلية وكان لهذه النشأة الجافة أثر كبير في كراهيتها للبرجوازية والبيروقراطية مما دفعها بعد ذلك إلى الانضمام إلى الحزب الاشتراكي الفرنسي

عملت اديت كريسون في بداية حياتها مدرسة في إحدى مدارس (نانت) وعادت إلى باريس لتعمل موظفة بقسم الاستعلامات في شركة بترول فرنسية حتى قام فرانسوا ميتران وكان في ذلك الوقت رئيسًا للحزب باختيارها لمنصب مديرة شئون الشباب في الحزب حيث تفرغت لهذا العمل .

وترى اديت ان المرأة في عالم اليوم تواجه صعوبات كثيرة لكي تنجح فما تزال أمامها عقبات كثيرة .. ولكي تصل إلى ما تريد يجب أن تكون لديها الارادة والقدرة لكي تتفوق على الرجل ..

* * *

وتعترف اديت كريسون بأن التاريخ لم يشهد عبقرية موسيقية نسائية ولم يشهد نوابغ في الفن التشكيلي .. ولكن هناك نماذج وان كانت قليلة لكنها رائعة مثل كاميل كلودين النحاتة الفرنسية المشهورة والتي تفوقت على النحات الكبير رودان وقد كانت عشيقته في وقت ما .. واستطاع ان يحطمها ويقلص مواهبها .. حتى انتهت حياتها بالجنون وعمرها ٣٥ عامًا.

والمرأة المبدعة تواجه مشكلات لا يواجهها الرجل ولذا فمن الطبيعي أن تتأخر .. فكيف يمكن للمرأة أن تبدع في الفن أو حتى في مجال السياسة وهي مشغولة بأمورها المنزلية الصغيرة وتربية الأطفال .

وترى اديت أن المرأة حتى وقتنا الحاضر تعيش بنصف عقلها فقط .. والنصف الآخر في المنزل ومشكلاته .

وتقول أن المرأة القوية دائمًا تثير غضب الرجال الذين يختلقون الحكايات حولها ويحاولون تشويه صورتها ..

وتعترف اديت بأنها حين كانت صغيرة كانت تتمنى أن تكون ولدًا لأنها كانت تعتقد أن الرجال هم فقط الذين يعملون والذين لهم الحق في الطموح .. لكن الآن بالطبع اختلفت وجهة نظرها .. فالمرأة ـ في رأيها حياتها أكثر ثراء من الرجل ـ ويكفي أنها تمر بتجارب وأحاسيس لا يمكن أن يعرفها الرجل مثل احساس الأمومة ولحظات الميلاد .. فهي بالطبع تكسب المرأة قوة وتجعل نظرتها للحياة أعمق بكثير ..

وهذه باختصار وجهة نظر امرأة رقيقة تعمل بالسياسة ونجحت في أن تثبت وجهة نظرها .

فـــرصـــتـــهـــا

المرأة هي المرأة .. في كل زمان ومكان .. تحب أن ترى نفسها محور الاهتمام .. تغار وتحزن وتفرح لأسباب شخصية .. تسعى لاشعال الفتنة في بيتها وتعشق المظاهر وتهتم بالشكل أكثر من الجوهر.

هذاالكلام ينطبق على المرأة سواء كانت عادية أومشهورة .. وحتى حين تصبح زوجة لرئيس الجمهورية فإن الأمر لا يختلف كثيرًا .. وهذا ما تؤكده نانسي ريجان زوجة الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان في كتابها الجديد (فرصتي) الذي كسبت من بيعه لدار النشر مليوني دولار.

انها في هذا الكتاب تهاجم الجميع بهدف الاثارة الصحفية حتى تشغل الرأي العام وتظل موضوعًا أساسيًا في عالم الشهرة بعد أن تركت البيت الأبيض.

الانتخـابات عام ١٩٧٩ لتصبح رئيسة للوزراء ولتحدث تغييرات كبيرة في النظام البريطاني.

في ذلك الوقت كانت بلادهـا تعـاني من أزمـة اقتصادية شديدة نتيجة التضخم وارتفـاع معدلات البطالة والاضطرابات الصناعية التي تقوم بها نقابات العمال.

وجـاءت مارجـريت لتحـل مشكلة سيـطرة هذه النقـابات العمالية على الاقتصـاد البـريـطاني .. واطلقت الحـرية لرجال الأعمال والمستثمرين .. وأعطت القطاع الخاص اهتمامًا أكبر فحولت إليه المشروعات الكبرى التي كانت تتـولاهـا الدولة وخفضت الضرائب على الدخـل وكانت هذه روشتة النجاح فأحبها البريطانيون لكن شهرتها لم تتدعم إلا بعد أن واجهت غزو العسكريين في الأرجنتين على جزر الفوكلاند.

ولأن أي شيء لا يستمر على حاله طوال الحياة فقد تعرضت مارجريت لهزة عنيفة في عام ١٩٩١ حين اظهرت استطلاعات الرأي أنه بعد مرور ١٠ سنوات على وجود مارجريت في الحكم فإن شعبيتها تراجعت بشكل خطير .. والسبب في ذلك أن البريطانيين يرون أنها نجحت خارجيًا ولكنها الآن لم تعد تلتفت إلى الداخـل كثـيرًا ولهذا ارتفعت أعمال العنف والجريمة .. والمقربون من رئيسة الوزراء البريطانية يرون أن ذلك لا يؤثر عليها كامرأة ناجحة اكتسبت احتـرام الجميـع داخليًـا وخارجيًا .. ولكن ذلك لم يدم طويلًا فقد انتهت اسطورة المرأة الحديدية فعلًا في عام ١٩٩١م .. وحل محلها جون ميجور رئيس الوزراء البـريطاني (لكن ذلك لا يعني أن مارجريت كانت شخصية عادية لقد كانت اسطورة تاريخية تستحق التأمل).

في أول ابريل عام ١٩٨٢ قامت الأرجنتين بغزو جزر فوكلاند .. الأمر الذي أزعج بريطانيا لأنها تعتبر هذه الجزر تابعة لها.

في ذلك الوقت كانت مارجريت تاتشر رئيسة للوزراء في بريطانيا فجمعت على الفور قيادة قواتها المسلحة ووزراءها في مكتبها بمجلس العموم البريطاني وقالت لهم أنه لا بد من عمل شيء يوقف هذا الغزو .. ويهزم الذين قاموا به وقالت أن الحكومة ستسقط إذا لم يفعلوا شيئًا.

وظهرت على شاشة التلفزيون لتؤكد للبريطانيين أنها ستنتصر .. وقالت بكل ثقة انها تتحدث عن النصر لأنه لا توجد احتمالات للهزيمة.

وكلفت أركان حربها بمواجهة قوات الغزو وبدأت معركة أخرى مع اخطر جهاز في عصرنا الحديث التلفزيون رمز الانتصار والسيطرة.

وجدت مارجريت تاتشر أن برامج التلفزيون تعكس موقف اقلية المجتمع التي تعارض القيام بعمل عسكري ضد الارجنتين.

وكان رأيها الحاسم هو أن رجال الـ بي. بي. سي يجب أن يقفوا في صف الحكومة ويساندوا موقفها لكن المعركة مع التلفزيون كانت أقوى من مواجهة الغزو لأنها تغلبت أولاً على مشكلة صغيرة مع جنرالات الأسطول البريطاني .. ثم وجدت المشكلة صعبة جدًا مع رجال التلفزيون.

قيادة الأسطول البريطاني كانت ترى أن تحركات القطع البحرية يجب أن تكون سرية ولكن تاتشر كانت ترى أن التلفزيون يجب أن ينقل هذه التحركات بشكل مكثف يجعل الارجنتين ترتجف قبل أن تبدأ المعارك.

رجال الأسطول كانوا يرون أن التلفزيون كان سببًا في خسائر جسيمة للأمريكيين في فيتنام بسبب ما كان ينقله من صور عما يجري في فيتنام لكن رأي مارجريت كان أقوى فخضع له رجال الاسطول.

لكن رجال التليفزون تحالفوا معهم وتعمدوا تأخير الأفلام التي كانت تصور العمليات حيث كانت تصل بعد حدوث العمليات العسكرية بأسبوعين وربما ثلاثة أسابيع مما تسبب في مضايقات كثيرة لرئيسة الوزراء

البـريطانية فقد كان التلفزيون البريطاني أمام نقص أفلامه .. يضطر إلى عرض الأفلام التي يصورها التلفزيون الأرجنتيني.

وشعرت ان انتصارها لن يكون له طعم لدى الشعب الذي لم يشعر به بسبب التلفزيون وكان عليها ان تنتصر في معركتها الثانية مع التلفزيون بعد انتصارها في الفوكلاند.

وكانت ذكية حين اختارت الإعلان عن الانتصار.

وبـو ١٠ يونيو ١٩٨٢ اعلنت مارجريت أمام مجلس العموم البريطاني أن جنـود الارجنتـين رفعـوا الرايات البيضاء في ميناء ستانلي بالجزر اعلانًا باستسـلامهم .. وصـارت منـذ تلك اللحـظة شخصية قوية شدت اعجاب الملايين . وحققت سياستها نجاحًا لم يحققه رئيس وزراء بريطاني من قبل.

وكانت الخطوة التالية التي ارادت ان تتوج بها انتصارها حيث قررت السفر إلى الجزر لتقديم التهنئة للقوات المنتصرة وصورت كاميرات بي. بي. سي وصولها ولقاءها بالجنود .. واتصل برنارد انجهام سكرتيرها الصحفي بمدير بي. بي. سي وابلغه أن فيلم وصول رئيسة الوزراء لابد ان يعرض في جميع محطات وشركات التلفزيون في بريطانيا .

وقال له ان رفض هذه التعليمات ستكون له عواقب كبيرة أولاها أنه سيتم منع أية أفلام من الخروج من جزر فوكلاند.

وكان على مدير بي. بي. سي أن يوافق و إلا كانت الخسائر كبيرة.. وبذلك صارت مارجـريت تاتشر أقـوى امـرأة هنـاك حيث حصل حزب المحافظين بقيـادتهـا على أغلبية في الانتخابات العامة وظلت مارجريت رئيسة وزراء للفترة الثانية واستمر نجاحها متواصلًا حتى استقالت.

لكن قصة مارجريت تاتشر مع التلفزيون قصة طويلة بدأت منذ أكثر من أربعين عامًا .. فقد ظهرت لأول مرة على شاشة التفزيون عام ١٩٥٠.

ويروي ذلك مايكل كوكيريل كبير المعلقين السياسيين بإذاعة وتلفزيون (بي. بي. سي) من خلال كتابه الذي اصدره منذ عامين تقريبًا تحت عنوان الحياة في ١٠ داوننج ستريت .. يقول أنه في ذلك الوقت كان المعلق التلفزيوني البريطاني نورمان كولينز يقدم برنامجًا شهريًا عنوانه (في الاخبار) تقوم فكرته على أساس دعوة ٤ شخصيات في كل حلقة لتناقش قضية تشغل الرأي العام وفي واحدة من الحلقات رشح المكتب المركزي لحزب المحافظين للبرنامج شابة لم تكن قد بلغت الثلاثين من عمرها مثقفة وواثقة بنفسها وكانت هي مارجريت تاتشر.

وخلال معركتها الانتخابية عام ١٩٧٩ التي نجحت من خلالها في أن تكون أول امرأة تتولى رئاسة الحكومة البريطانية .. خلال تلك المعركة كان جوردون ريسى مستشارها التلفزيوني الخاص حيث قضى أيامًا طويلة يدربها على تهذيب صوتها والتحكم في نبراته في أية مناسبة وكان يساعدها في انتقاء ملابسها.

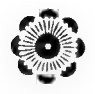
وكان يقول لها يجب أن تراك الجماهير من خلال التلفزيون كامرأة وكرئيسة وزراء .. بمعنى ان الحسم يجب أن يمتزج في شخصيتك بالأنوثة.

وظل ريسى مستشارها التلفزيوني خلال العامين الأولين من حكمها. ثم انتقل إلى الولايات المتحدة ليعمل بإحدى الشركات الخاصة لكنه كان على اتصال دائم بها يقدم لها استشارات كلما طلبتها.

ولم يكن جوردون ريسى غير مخرج تلفزيوني واعد يتمتع بشخصية ذكية ولديه قدرة فائقة على الاقناع التقطه ادوارد هيث زعيم حزب المحافظين من بين جميع مخرجي التلفزيون ليضمه إلى المجموعة التي كانت تقود حملته

الانتخابية التي حملته إلى رئاسة الوزارة وتعرفت عليه مارجريت واختارته مستشارًا تليفزيونيًا لها .. وكان فعلاً مستشارًا ناجحًا.

وقال لها بعد نجاحها انها ظهرت خلال الحملة الانتخابية على شاشة التلفزيون بما فيه الكفاية وعليها الآن ان تقلل من ظهورها .. فلم تظهر على الشاشة خلال الشهر الأول .. لكنها بعد ذلك راحت تظهر في الوقت المناسب وتستغل التلفزيون بالطريقة التي تراها تحقق أهدافها.



رئيسة للجمهورية فجأة

في طفولتها لم يكن من أحلامها أن تكون رئيسة جمهورية .. كان أملها المتواضع في ذلك العمر المبكر أن تصبح مدرسة .. وبعد أن اتقنت الإنجليزية والفرنسية كبر الحلم بعض الشيء تمنت أن تصبح مترجمة .. لكنها ابدا لم تفكر في السياسة حتى وهي زوجة كانت تشغل حياتها اليومية برعاية أطفالها وإعداد المنزل وتوفير الراحة لزوجها المعارض لنظام الرئيس الفلبيني فرديناند ماركوس.

لكن أحداث الحياة لا تأتي كما نتصور أو نتخيل .. والرياح أحيانًا لا تأتي كما تشتهي السفن.

وكان يوم ٢١ أغسطس ١٩٨٣ يومًا فاصلاً في حياتها حيث سقط زوجها مضرجًا بدمائه .. وقبل ذلك باثنى عشر عامًا كانت قد بدأت تعي حجم الأحداث التي يمكن أن تقع لاسرتها.

ان كورازون اكينو رئيس الفلبين السابقة لم تتعامل مع السياسة إلا بعد أن عاشت أكثر من ٢٨ عامًا مع زوجها مجرد ربة بيت.

وفي عام ١٩٧٢ دخل زوجها نينوى أكينو السجن كانت تزوره ٣ مرات أسبوعيًا وذات يوم قال لها أنه سيرشح نفسه للرئاسة .. فبدأت تساعده في حملته الانتخابية وتحملت أعباء كثيرة بينها جمع تبرعات لاصدقاء زوجها السياسيين .. للاعداد للحملة الانتخابية.

وتطورت الأحداث بعد ذلك وهي تدخل رويدًا رويدًا إلى عالم السياسة.

وفي ٢١ أغسطس ١٩٨٣ عاد زوجها من منفاه في الولايات المتحدة حيث نفاه هناك ماركوس لمدة ٣ سنوات .. وفي مطار مانيلا سقط مضرجًا في دمائه وطويت صفحة زعيم المعارضة الفلبيني لتبدأ صفحة زوجته كورازون اكينو التي جمعت بناتها حولها ولم يشغلها في تلك اللحظات إلا ترتيب جنازته ..

وحين قال لها أحد أقاربها أن بلادها تنتظر منها أن تواصل كفاح زوجها قالت :

هذا ليس طريقي ما الذي اعرفه حتى أكون رئيسة للجمهورية .. ولكن أكثر من مليون مواطن فلبيني وقعوا على عريضة تطالبها بترشيح نفسها للرئاسة .

فخضعت لقرار الشعب .. بعد أن تأكدت أن ماركوس كان وراء اغتيال زوجها .

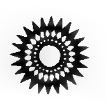
لقد تأكدت من ذلك بعد أن برأت المحكمة كل المتهمين الذين قدمهم ماركوس بتهمة قتل زوجها المنافس العنيد له.

تقول اكينو .. أنا عنيدة .. اطلب النصيحة من أشخاص كثيرين ولكن في التحليل النهائي .. فإنني أنا التي اصنع القرارات .. وتقول لا يهمني ان أعرف أن الآخرين يظنون انني ضعيفة ما دام بامكاني أن اثبت عكس ذلك.

ويقول المراقبون السياسيون والمؤرخون أن عام ١٩٨٦ سيظل في تاريخ الفلبين عام الثورة وتولى امرأة مقاليد الحكم .

ان كورازون اكينو .. رمز الديمقراطية التي اطاحت دون اراقة دماء .. بالديكتاتورية التي فرضها فرديناند ماركوس على مدى ٢٠ عامًا .. انها السيدة التي يطلقون عليها السيدة ذات الرداء الأصفر، نسبة إلى اللون المفضل لثيابها.

وكورازون اكينو من مواليد عام ١٩٢٣ بمدينة مانيلا حاصلة على ليسانس الآداب من جامعة مونت سينث فينسنت في نيويورك وعلى عدد كبير من درجات الدكتوراة الفخرية من الجامعة التي تخرجت فيها وجامعات أخرى بالفلبين والولايات المتحدة.



الشهرة بأى ثمن

مادونـا ومارجريت تاتشر واديت كريسون نماذج أسطورية لنساء هذا العصر الذي نعيش فيه.

مادونا تمثل جنون المرأة الذي يدفعها لأن تفعل أي شيء من أجل أن تحقق أحلامها في الشهرة وأقول أي شيء لأنها بالفعل تشبع رغباتها كيف تشاء .. وتتصرف بالطريقـة التي تجعلها ملفتة للانظار حتى ولو خلعت ملابسها قطعة قطعة أمام المصورين والجماهير التي احتشدت لتشاهدها .. وهذا ما فعلته قبل عرض فيلمها الجديد في مهرجان كان والذي اسمه (في السرير مع مادونا).

انها المطربة الاشهر الآن في عالم الفن والفضائح في أوروبا التي تذكرنا بمارلين مونرو التي بدأت نفس الطريق وانهته بالانتحار.

هي نفسها تعترف بأنها خليفة مارلين مونرو في أفلام الجنس والاثارة وإذا كان النـاس الذين فتنتهم بجمالها يرددون دائمًا أنها أجمل الجميلات فإن مادونا تقول للجميع أنها تعرف أن جمالها يتركز في وجهها وذراعيها وصدرها طبقًا لتعبيرها .. أما نقطة الضعف الكبرى في قدميها .. انها تعترف انهما غير جميلتين ولهذا ترفض باستمرار تصوير هذا الجزء غير الجميل .. وهي بذلك تؤكد ما يقوله الخبراء لكل امرأة إن الجمال مسألة نسبية واية امرأة مهما كانت قبيحـة يمكنهـا بخطوات بسيطة جدًا أن تبدو جميلة .. وأولى هذه الخطوات ان تبحث عن الجزء الجميل فيها وتخفي بقية الأجزاء غير الجميلة

هنـاك امـرأة جمالها في أصابعها .. وأخرى جمالها في صوتها .. وثالثة جمالها في عينيها .. ورابعة جمالها في روحها المرحة .. وهكذا .

تقول مادونا أنها كانت في طفولتها تحلم بأن تكون مشهورة وثرية في أي مجال في الرقص أو الغناء أوالتمثيل .. المهم أن تحقق حلمها .. لهذا كانت فتاة نشيطة.

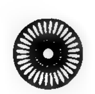
تقول انني امرأة في غاية النشاط ولهذا ظللت ابحث عن الطريق الذي يحقق أحلامي حتى وجدته.

وحين وصلت إلى ذلك واصبحت مشهورة جدًا وتملك الفي مليون دولار ادركت انهـا تخـاف من المـوت وتحب الحياة بشغف .. لهذا تنسى نفسها أحيانًا، وتظن ان الحياة هي أن تعيش اللحظة التي هي فيها دون ان تفكر في الغد.

بقي أن نعرف أن امها كانت متدينة جدًا ولهذا ادخلتها مدرسة المدارس الكـاثـوليكيـة حتى تنشـأ متدينة لكن أمها ماتت وعمر مادونا لم يتجاوز السادسة فترك لها والدها الحبل على الغارب فكانت بداية السقوط في أحلام

الجنون .. لقد اختارت طريق مارلين مونرو أول امرأة تظهر عارية تمامًا على شاشة السينما الأمريكية ومن بعدها تجرأت المرأة وراحت تدغدغ مشاعر المراهقين على صفحات المجلات والأفلام والمسرحيات .. أيضًا اختارت مادونا طريق مارلين .. ترى كيف ستكون النهاية ؟.

ان مادونا تمثل جنون المرأة أما عقلها فتمثله امرأة أخرى شغلت العالم في عام ١٩٩١ وهي اديت كريسون التي عينت كأول رئيسة لوزراء فرنسا في تاريخ هذه الدولة .. وهي سيدة كانت وزيرة نشيطة جدًا شهد لها بذلك كل الذين عملوا معها.



مذكرات كارولين

كتابة المذكرات هي الآن أكثر الأعمال ربحًا أنها تجارة رائجة في كل الدنيا .. ويتساوى فيها العرب والغرب .. مذكرات في السياسة أو في الأدب أو في الحياة الشخصية .. وحتى المذكرات التي يمكن تصنيفها في باب الفضائح.

معظم الرؤساء الأمريكيين السابقين كتبوا مذكراتهم وعاشوا بقية عمرهم في الظل ـ سياسيًا ـ لكن الشهرة لم تفارقهم والأموال أيضًا .. والسبب تلك المذكرات .

وبعض الكتاب لا يروقهم المذكرات التي يكتبها الزعماء عن حياتهم فيقومون هم بطرقهم الخاصة بكتابة تلك المذكرات فعلتها الكاتبة الأمريكية كيتي كيلي مع نانسي ريجان وأثارت ضجة كبرى .. ومنها أيضًا برنارد انجهام السكرتير الصحفي للسيدة مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة ..

ومثلما فعلت اعتماد خورشيد ووزعت الاتهامات في مذكراتها على كثير من الزعماء السياسيين ورجال الفن والأدب في مصر.. فعلت نفس الشيء واحدة أخرى في بريطانيا اسمها كارولين في كتاب اسمه «حياتي» .. وهي فتاة جميلة تعمل عارضة أزياء وفتاة أغلفة للمجلات الكبرى.

كارولين اعلنت أولاً انهــا ستصدر كتابها الذي تروي فيه قصة حياتها المثيرة . والرجال الذين عرفتهم كموديل وكفتاة غلاف .. فأثارت ضجة كبرى في الأوساط السياسية لأن لها علاقات واسعة مع عدد من رجال السياسة في لنــدن .. لدرجــة أن البعض هددها برفع دعاوي قضائية لمصادرة الكتاب وتكذيب ما نشر فيه.

واتصــل بها مذيع تلفزيوني شهير ليعرف ماذا ستقول عنه في كتابها .. فقالت له أنها ستذكر قصة طلبه الزواج منها .. فصاح غاضبًا في وجهها انه سيلاحقها قضائيًا .. وانتهت المناقشة انها ستذكر الواقعة ولن تذكر اسمه بل ستكتفي بالإشارة إلى اسمه ببعض الرموز.

كارولين لم تكن فقط مجرد عارضة أزياء أو فتاة غلاف بل خطفت عقول المراهقين حين ظهرت في أحد افلام جيمس بوند مع روجر مور .. وكان هذا الفيلم جواز المرور لها إلى عالم الشهرة من خلال جسدها الفتان وجمالها الآخاذ..

واشهر قصة لها كانت مع المليونير اللبناني الأصل الياس فتال الذي طار معها إلى جامايكا وعقدا مراسم الزفاف .. وبدأت تشعر انها حققت أكبر المتع في الحياة (الشهرة والجمال والمال) لكن ذلك لم يدم طويلاً .. حيث انفجرت قنبلة كانت كارولين تخفيها حيث اكتشف أحد المخبرين أن كارولين مقيدة في سجلات المواعيد تحت اسم (باري) وانها حتى الآن تعتبر ذكرًا.

نشرت الصحف هذا الخبـر .. الذي وصل إلى المليونير في تلك الجزيرة المنعـزلة .. وأمـام ضغوط الأهل والأصدقاء اضطر لأن ينفصل عنها لتبدأ كارولين رحلة جديـدة مع الحكـومة البريطانية لاثبات أنها أنثى كاملة .. ويجب ان تحصل على حقها في تغيير اسمها .. ونقلها من سجلات البنين إلى الاناث.

كانت كارولين قد اخبرت المليونير الذي هام بها عشقًا بقصتها قالت له:

جمالها الذي بهره جاء بعد معاناة .. لأنها ولدت ذكرًا .. وفي مراحل عمرها الأولى ذهبت إلى أحد المستشفيات للعلاج الذي استمر لفترة طويلة حتى اخبـرها أحد الأطباء بأنها تحتاج لعلاج الهرمونات لتغيير جنسها . ولكن المسألة كانت تحتاج إلى مبلغ كبير من المال .. والتقت ذات يوم ـ وهي ذكر ـ برجل كريم انفق عليها في العلاج حتى وصلت تكاليف العمليات الجراحية التي اجريت لها إلى حوالي ٢٥ الف جنيه حتى تحولت إلى انثى تتمتع بقوام رشيق لا يشك أحد في أنه قوام انثى كاملة وعملت في مجال الأزياء .. واعجب بها روجر مور .. واشتهرت على أغلفة المجلات .

وراح الرجـال يتقـربـون منهـا ويقيمون معها علاقات .. رجال من كل الطبقات والفئات والمهن ولم يشك أي واحد فيهم أنها ليست امرأة. حتى جاء أحدهم ليعرض عليها الزواج فاخبرته بقصتها فتغير حاله فجأة .. واخبرها بأنه لم يكن متأكدًا من حقيقة مشاعره وان عليه ان ينصرف الآن لان هناك موعدًا هامًا كاد ينساه.

وتكررت نفس القصة مع كل رجل فكر في الزواج بها .. حتى جاء (الياس فتال) الذي كان مغرمًا بها فطلب منها ان تخفي حكايتها سرًا وأصر على الزواج بعد أن إطمأن إلى أن أحدًا لا يعرفها بدليل ان صحف الفضائح لم تكتب عنها اية كلمة لكن الرياح اتت بما لا تشتهي السفن وتسرب الخبر إلى الصحافة

ففي المـرحلة الابتدائية .. ونحن نعلم الطفل القراءة والكتابة يجب ألا نلقنه انشائيات محفوظة وكلمات جوفاء .. بل يجب أن نؤهله للتساؤلات. مثلاً .. لماذا نؤمن .. وماذا يحدث لنا إذا ابتعدنا عن الله .. ولماذا كانت أمة الإسلام قوية ذات يوم والآن هي ضعيفة .. وكيف يمكن أن تعود قوية كما كانت ؟!

ولابد أن نوضح له .. أنه إذا أصبح وطنه قويًا .. فإن هذا سيعكس صورة قوية للإسلام .. أمام العالم المحيط بنا .. والوطن لن يكون قويًا إلا إذا اقتنع الفرد فيه بأن يجب أن يخدمه ويسعى إلى الارتقاء به.

ومن الضروري أن نغرس في كل طفل فكرة أساسية وهي أن لكل إنسان رسـالة في هذه الحياة .. هذه الرسالة تختلف من إنسان لآخر .. لكن هذه الرسـالات تتفق في النهاية على الحفاظ على العقيدة .. والدفاع عن الوطن والنهوض به.

ومما يرويه التاريخ عن سان سيمون الأب الفكري للنظرية الاجتماعية الحديثة أنه كان وهو صبي يأمر خادمه أن يوقظه كل صباح بقوله استيقظ يا سيدي فإن هناك عملاً عظيمًا ينتظرك.

* * *

وظل الخادم يوقظه بهذه العبارة كل صباح حتى كبر واتم عمله العظيم من خلال أفكاره ونظرياته.

ومـــاذا بعـــــد

قلت لفضيلة الشيـخ محمـد متـولي الشعراوي ـ ذات يوم منذ خمس سنـوات ـ اني فوجئت بمعلومـة لم أكن أعرفها عنك رغم كل ما قرأته عن شخصيتك وعلمك .. وهي أنك كنت تدخن .. وصدقني ـ يا مولانا ـ دهشت وما زلت أبحث عن إجابة لسؤال عن كيفية اقلاعك عن التدخين ؟ .

فقال : المسألة بسيطة .. فأنا لم أدمن السيجارة ولم تكن رغبة التدخين تسيـطر عليّ .. ذات يوم كنت ألقي محـاضرة في الجزائر .. ونقل لي بعض الأصـدقـاء حوارًا دار بين اثنين ممن كانوا يستمعون إلى المحاضرة. وكان مضمـون كلامهمـا وحـوارهمـا أنـه من غير المستسـاغ أن يدخن الشيـخ الشعـراوي لأن السيجـارة تبدو شيئًا غير مقبول من قدوة تجذب الملايين بعلمها وفكرها. ووجدت أن هذا الكلام معقول وألقيت سيجارتي ومن يومها لم أعد إليها.

قلت له ولكن يا مولانــا .. لقد عرفك الناس كعالم كبير بعد أن تجاوزت الخمسين من العمر .. فأحبوك بعد أن شغلت دنياهم بهذا العلم الغزير .. ترى هل لديك تفسير لهذا الحب ؟.

قال انني : اتكلم بقرآن يخاطب به الله كل الملكات .. نحن كبشر لم نعرف إلا ملكة واحدة .. إنما الله يخاطب ملكات متعددة.

وسألني : هل تعرف ماذا يقول البلبل ؟!

قلت : لا بالطبع .

قال : ومع ذلك .. نطرب جميعًا حين نسمع صوته .. إنها قدرة الله سبحانه وتعالى لقد كانت لي جلساتي الخاصة لتلامذتي .. ولكن لم أسمح لنفسي بأن أخـرج للجمهور إلا بعد الستين لقد ذقت حلاوة .. فأحببت أن أنقلها إلى سواى .. إنه اخلاص نفسي لأن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه» .. فحين يجد الله انني أريد أن أنقل شيئًا لأخي في الله .. الا يعينني بالقبول . وأنا طيلة حياتي لم أسأل قط عن شيء أعلمه .. كل سؤالي عن شيء لا أعرفه .. أسأل عنه ولا أخجل .. لأنني أرى أنه إن كان سؤال العلم ذله.

فاذل دقيقتين في سؤال اعتز به عشرات السنين .. أفضل .

ومنذ أكثر من ٢٧ عامًا اكتفي بقراءة المصحف .. اذا كانت هناك آية يعز عليّ فهمها .. اتوضأ وأصلي ركعتين لله وأقول يا رب انت قائل هذا الكلام .. افتح عليّ فيه فتحًا.

ولا أدعي أنني أتيت بجديد .. لكني أيضًا لا اهضم نفسي حقها وأقول انني أكرر القديم .. وانما اختلطت الأفكار في نفسي وتفاعلت .. وتولدت عنها معان جديدة .. والعجيب انني حينما قلت .. وجدت أن الناس كانوا في انتظار ما قلت . فسجدت لله شكرًا.

كنت منذ البداية لا أريد أن أكون أسطوانة مكررة لمن سبقني كنت أريد أن أتي بجديد يناسب عصرنا .. السابقون قالوا ما ناسب عصورهم .. فإذا حاولت أن أكـرر ما قالوه في عصورهم ابقيت عصري بلا عطاء .. وخالفت منهـج القرآن الذي جعله الله بحيث يكشف في كل عصر عن سر .. ويبقي أسرارا للعصور التالية .. حتى لا يأتي عصر من العصور يتوقف فيه عطاء القرآن.

كنت كلما أردت أن قول شيئًا .. وجدته قد قيل .. فأصمت وظللت هكذا إلى أن قرأت كتب الإسلام حتى أحسست بمخاض فكري لكثير من الأفكار فبدأت أقول.

قلت : وسر النجاح يا مولانا؟
قال : أستاذي الشيخ مصطفى البياضي الذي لعب دورًا مهمًا في حياتي .. جعلني دائم الحوار مع نفسي .. كان يحدثني باستمرار عن سر الوجود .. ويفتح أمامي العديد من القضايا الدينية والدنيوية .. وكنت أسأل نفسي .. هل هذا الوجـود كله مخلوق لنـا في هذه الفترة القصيرة من الحياة التي نعيشها .. وتساءلت لماذا الشمس والقمر .. وكل هذه الدنيا المخلوقة من أجل الناس تبقى والناس يموتون ؟

وهكذا انصبت عقيدتي على أننا مرتبطون بقوة عليا وبدأت انظر لكل ما نحققه من أمور على أنها مسائل يوجد ما هو أهم منها فيجب أن الحق نفسي أولاً .. الحق نفسي من ربي .. وقد اعطاني الشيخ مصطفى مفتاح السر بكلمة واحدة.
قال لي : هب انك أصبحت عالمًا أو وزيرًا أو رئيس جمهورية فهل معنى

ذلك أنك حققت أهدافك في الحياة؟ وبلغت فيها المنتهى، وبعبارة أخرى هل تقنع بما وصلت إليه؟

أننا جميعًا مهما حققنا من غايات في الحياة نسأل أنفسنا دائمًا وماذا بعد؟ وتلك العبارة كانت مفتاح السر في حياتي ومن خلالها اختصرت كل تأملاتي في الحياة في جملة واحدة وهي أن الحياة أهم من أن تنسى .. ولكنها أقل من أن تكون غاية لأن الله يعدنا بحياة خالدة بجواره لا تنتهي أبدا .. وليس لها بعد.

ولكن لماذا تكون أهم من أن ننساها؟

لأن الغاية لن تحسن إلا لو أحسنت عملي في هذه الدنيا فهذه الأعمال هي التي ستوصلني إلى الغاية التي انشدها.



تجـــربــة

النجاح لا يرتبط بعمر الإنسان .. بمعنى أنك قد تنجح وأنت في الثلاثين من عمـرك .. بينمـا هنـاك إنسان آخر لم يعرف النجاح إلا بعد أن تجاوز الخمسين أو الستين.

والمهم أن يدرك الإنسان أن عليه أن يخلص في عمله .. وبعد ذلك ينتظر النتيجة من الله سبحانه وتعالى .

هذه النصيحة قالها لى القارىء الشهير عبد الباسط عبد الصمد رحمه الله .. وهي نصيحة استخلصها من تجاربه في الحياة قال لي، في لقاء معه منذ عدة سنوات ـ أنه لم يلتحق في طفولته بالمدرسة الابتدائية مثل اخوته .. ولهذا فكر والده في أن يستفيد بجهده في العمل بالزراعة. ولم يكن أمام الشيخ عبد الباسط غير أن يذهب إلى جده الذي شجعه على حفظ القرآن وترتيله وكان

يسير مسافات طويلة لكي يستمع إلى الشيخ محمد سلامه وهو يرتل القرآن .. وكم تمنى في ذلك الوقت أن يصبح مثله.

وتمضي الأيام وهو يحفظ حتى بدأ يقرأ القرآن في بعض المساجد بالصعيد .. ثم أصبح مشهورًا في محافظات جنوب مصر قنا وسوهاج وأسيوط والمنيا ..

سألته .. كيف اذن وصلت شهرتك إلى القاهرة ومنها إلى العالم العربي والإسلامي.

أجاب : كنت ذات يوم أزور أخوتي الذين يتلقون العلم في القاهرة وكان من عادة أهلنا أنه بمجرد وصولهم إلى القاهرة لا بد أن يزوروا أولياء الله الصالحين، فذهبت إلى مسجد السيدة زينب وهناك رآني شيخ المسجد وكان من بلدتي (ارمنت) بصعيد مصر..

عرفني وطلب مني قراءة جزء من القرآن تحية للمسجد وكانت الرهبة التي أصابتني كبيرة لا أستطيع وصفها فعلًا لأن كثيرًا من الناس كانوا جالسين في انتظار صلاة العصر (وفتح الله علي وشرح صدري وقرأت بعض الآيات ..) فطلب مني أن احضر صلاة الجمعة .. ويومها كان بالمسجد بعض المسئولين وبعد القراءة سألني أحدهم لماذا لا أتقدم للإذاعة لكي أصبح قارئًا معروفًا على امتداد العالم الإسلامي.

فقلت في نفسي لماذا لا أجرب هذه الخطوة وفعلًا تقدمت لامتحان الإذاعة ونجحت .. وبـدأت أولى خطواتي في الإذاعة وكنت في ذلك الوقت اقرأ مرة واحدة في الشهر مقابل ثلاثة جنيهات.

ثم بدأت اقرأ يوم السبت اسبوعيًا على موجة البرنامج العام.

وظللت أعمل بحمد الله وتوفيقه حتى ازدادت شهرتي وأصبحت جنبًا إلى جنب مع جيل الرواد من قرائنا الكبار محمود خليل الحصري والشعشاعي.

الإصرار

الطريق إلى القمة يبدأ بالتصميم والاصرار على عدم الخضوع واليأس ومن يقرأ تجارب الناجحين يدرك أنهم خططوا جيدًا لحياتهم .. وقبلوا منذ البداية مبدأ الاصرار وتحدي المصاعب بالعمل ليل نهار .. دون يأس أو تكاسل.

هذا ما حدث على سبيل المثال مع الكاتبة فرانسواز ساجان التي كانت تحلم منذ طفولتها بالشهرة .. وظلت تعمل لتحقيق هذا الحلم بالقراءة والكتابة حتى أصبحت أديبة مشهورة .. وقبل أن تصل إلى الثلاثين من عمرها كانت قد تربعت على عرش الشهرة بسبب روايتها الأولى «صباح الخير أيها الحزن» التي أحدثت دويًا هائلًا في عالم الأدب وطبعت عدة طبعات وترجمت إلى أكثر من لغة ومنها العربية .. وحصلت من ورائها على خمسة ملايين فرنك فرنسي .. كان ذلك عام ١٩٥٤.

وكأنها بذلك تريد أن تؤكد لنا أن الوحدة قاسية على المرأة وأنها بدون الزوج أو بدون ابنها تعيش أصعب لحظات حياتها.

وسألوها عن رأيها في أهم واجبات المرأة نحو الرجل الذي تحبه؟

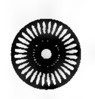
فقالت : ان تهتم به .. أن تساعده وتسمعه وتدلله .. فهناك صلة وثيقة جدًا بين الرجل والطفل.

قيل لها: ما أهم عيوب المرأة في نظرك؟

أجابت : ميلها للشر والحقد والغرور .. انني لا أطيق المخلوقات التي تعتبر كل شيء أمرًا ميسورًا مسموحًا بالنسبة لها.

وسألها رجل : هل تفضلين أن تكوني أول حب أم آخر حب بالنسبة للرجل

فأجابته : هذا لا يهمني كثيرًا .. فأول حب يقابل الفتاة عادة وهي في مقتبل العمر.. هل فهمت ؟!



وقد وصل عدد مؤلفات فرانسواز ساجان إلى أكثر من ٢٠ رواية.

في روايتها (العاصفة الجامدة) تتحدث عن كل شيء وتطرح العديد من القضايا وكأننا أمام اعتراف هائل من جانبها بأن شيئًا لم يتغير فالمرأة .. كالبرق يبدأ وينتهي في نقطة ما. والموت في النهاية هو مصير الجميع رجلًا أو امرأة.

سئلت : هل معنى ذلك أنك أيضًا تخافين من الموت؟

أجابت .. لقد واجهت الموت مرتين أو ثلاث مرات واعتقد انني أثناء ذلك كنت قدمت فعلًا .. انني أخاف موت الآخرين .. وأخاف من الأمراض .. ولكني لا أفكر أبدا في موتي انا .. رغم انه طرأ على ذهني مثل هذا الهاجس عندما كنت اجرى عملية البنكرياس .. لقد اعتقد الأطباء انه السرطان فقلت لهم: اذن هو حقًا .. فلا بأس من العناية بي حتى النهاية .. لقد كان الجميع حولي في محنتي طوال ٤ ساعات لم أشعر خلالها بالرعب من أي شيء.

كنت فقط أفكر في ابني (دينيس) الذي قد يكون متألمًا.

لقد مت فعلًا .. اغلقت عيني وأخذوا السلسلة التي تحيط بعنقي .. ولكني استيقظت بعد ذلك وعندما غادرت المستشفى شعرت بقلبي يقفز بين ضلوعي .. واكتشفت أن الحياة جميلة بقدر ما نعطيها دائمًا.

* * *

عندما سئلت الكاتبة الفرنسية الشهيرة فرانسواز ساجاي عن أقسى تجربة تمر بها المرأة .. أجابت بسرعة.

- أن تفقد طفلها.

ثم عادت لتفكر في السؤال مرة أخرى وقالت:

- أن تفقد زوجها.

قالوا عنهـا أنهـا كذابة .. وتساءلوا كيف تكون أديبة مشهورة وتسرق الفكرة من أديب ناشيء. ووصفوها بأنها تافهة ومدمنة .. ولا أخلاق عندها .. وسمعت أيضًا من يقول أن كتبها ليست سوى خرق بالية.

وزاد من آلامها أن المحكمة حكمت لصالح الأديب الناشيء وكان الحكم فضيحـة استغلتهـا الصحف في الهجوم على الكاتبة الكبيرة فاضطرت إلى الهروب إلى إحدى ضواحي باريس ولجأت إلى العمل لتنسى همومها وظلت عدة أسابيع تكتب حتى انتهت من كتابة رواية في (٨٠٠ صفحة) عنوانها (السيـدة المخضبـة بالدماء) أعادت لها الثقة بنفسها ومسحت من أذهان جمهور قرائها تلك القضية التي خمدت بعد ثلاثة شهور من بدايتها وعادت من جديد تلك الكاتبة ذائعة الشهرة ..

تروي فرانسواز ساجان تجربتها في عالم الأدب قائلة كنت أريد أن أكون مشهورة .. كان الحلم بالنسبة لي كالشمس الساطعة .. ولما حدث قلت لنفسي هكذا يكون المجد ومنذ أكثر من ٣٠ عامًا عرفت المجد .. وعرفت أيضًا الوحدة والآن .. لا اتصور أنني يمكن أن أعيش بدون كتابة .. ولا اتخيل لي عملاً غير الكتابة .. انني استطيع أن أكتب في أي مكان وان كنت أفضل العمل في الليل حيث يمكنني ان أجلس إلى ركني المفضل واكتب بسرعة حتى حتى لا تضيع الفكرة من ذهني .

وتضيف .. اعتقـد أن سبب نجـاحي يرجع أولاً وأخيرًا إلى انني اكتب قصصًا يستطيع أن يفهمها كل شخص دون اشعاره بأنه غبي بطيء الفهم .. فهذا يجذب انتباهه ... ولا يجعله يشعر بأنه اضاع وقته في قراءة القصة .. وزيادة على ذلك فقد صاحبتني عند بداية ظهوري موجة كبيرة من الدعاية اعتقد أنها كانت العامل الأساسي لنجاحي.

وبعد عامين اصدرت روايتها الثانية «ابتسامة ما» فلاحقها الناشرون والسينمائيون وتحولت الرواية إلى فيلم وأصبحت فرانسواز ساجان تنافس جان بول سارتر في شهرته.

فرانسواز من مواليد ١٩٣٥ وطوال السنوات الماضية عرفت طعم الشهرة والنجاح ومرارة المنافسة وذل الفشل.

ففي عام ١٩٨١ أصدرت روايتها رقم ١٢ وعنوانها (الكلب المختبىء) وبسبب هذه الرواية عرفت القلق وحقد الآخرين .. وبمجرد صدورها ظهر أديب شاب هو (جان هوجرون) وأعلن أن الكاتبة الكبيرة سرقت هذه الرواية عن قصة كتبها ونشرت بإحدى المجلات تحت عنوان (المرأة العجوز).

أقام دعوى أمام القضاء وطالب بمصادرة الرواية مع الاحتفاظ بحقه في الحصول على ٥٠٪ من النسخ المباعة منها وأمام الصحفيين خرجت فرنسواز لتبرىء نفسها لكن الصحفيين حاصروها .. وطلبوا منها أن تتحدث عن الروايتين بالتفصيل .. ولم يكن أمامها غير الاعتراف.

قالت: لقد طلبوا مني عمل سيناريو سينمائي لقصة «هوجرون» ـ المرأة العجوز ـ فقرأت القصة وبدلاً من أن اكتب السيناريو كتبت رواية أخرى بنفس الشخصيات (سيدة عجوز بدينة ولص) وسلمت الرواية للناشر (فلا ماريون) بعد أن سميتها الكلب المختبىء ووجهت في مقدمتها الشكر للكاتب جان هوجرون على تطوعه لمساعدتي حيث الهمتني قصة .. هذه الرواية.

لكن الناشر أبلغ منتجة الفيلم بما حدث فغضبت وأبلغت هوجرون بأنني سرقت فكرة روايته فثارت الضجة.

ولأن في كل الأزمات يظهر المتسلقون والباحثون عن دور فقد ظهر من استغل الموقف .. واشعل الضجة التي تسببت في انهيار أعصاب فرانسواز فقد راح أعداء النجاح يهاجمونها.

النجاح بعد الفشل الثالث

لم أعرف أحمد بهاء الدين منذ فترة طويلة .. لقد عرفته بعد أن عاد إلى القاهرة قادمًا من مجلة العربي الكويتية التي كان يرأس تحريرها لسنوات عديدة.

ومنـذ شدتني مقالاته في الصحف المصرية بدأت البحث عن مؤلفاته .. وعدت إلى اعداد مجلة العربي القديمة .. حتى اهتديت إلى واحد من أروع كتبه وهو أيام لها تاريخ .. ومن يومها وأنا اتابع بانتظام مقالاته في الأهرام والشرق الأوسط وفي بعض الصحف والمجلات العربية التي تسابقت لنشر أفكاره.

ان أحمد بهاء الدين لم يحقق هذا النجاح صدفة بل انه تعب كثيرًا حتى أصبح واحدًا من أشهر كتاب عالمنا العربي.

هو نفسه يعترف بأنه واجه سلسلة من البدايات الفاشلة في مراحل حياته الأولى قبل أن يذوق طعم النجاح .. ويعرف قلمه الطريق إلى عقل قرائه.

أحمد بها ءالدين تخرج في كلية الحقوق لأنه كان يتطلع لأن يكون محاميًا مشهورا .. لكنه حين حصل على ليسانس الحقوق شعر ان هذه المهنة لن يحقق فيها شيئًا لأنه لا يصلح لها ففكر في تغييرها ووجد وظيفة في النيابة الإدارية .. لكنه فشل في التكيف مع هذه الوظيفة .. ولم يجد أمامه غير أن يشبع هوايته في القراءة والكتابة للصحف .. وفي لحظة ما .. قرر أن يسلك طريق الصحافة.

وذهب أحمد بهاء الدين إلى دار الهلال ليقدم نماذج من كتاباته إلى رئيس مجلس ادارتها لعله يوافق على أن يعمل بالمجلة.

حوله رئيس مجلس الإدارة إلى كبير المحررين الذي سأله .

- في أي مجال تريد العمل.

أجاب أحمد بهاء الدين : في كتابة المقالات.

- ولكن الصحافة الآن تعتمد على الخبر.

- وأنا أجيد كتابة المقالات والدراسات وأحب الصحافة.

ما دمت تحب الصحافة فلا بد أن تبدأ من الصفر وتترك المقالات مؤقتًا .. لا بد أولاً أن تعرف كيف تحصل على الأخبار.

وحين قال أحمد بهاء الدين أنه مستعد لذلك أعطاه الفرصة.

لكن أحمد بهاء الدين فشل في العمل بقسم الأخبار فقال له كبير المحررين: أنت لا تصلح للعمل الصحفي .

وفي هذا الوقت ظهـرت مجلة جديدة اسمها (ستراند) فقرر أن يوفر على نفسه مشقة البحث عن ناشر، وأرسل هذه القصص إلى تلك المجلة .. وكانت هذه بداية النجاح لقلم جديد ترك الطب ودخل إلى عالم الروايات والقصص البوليسية من خلال الشخصية الشهيرة شارلوك هولمز .

انه الكتب الشهير (ارثر كونان دويل).

وخلال ٦ شهور أصبح (كونان دويل) أشهر كاتب في ربيع عام ١٨٩١ .. وظل يكتب والمجلة تنشر لأن توزيعهـا يرتفـع نتيجة اعجاب القراء بهذه النوعية من القصص.

ولأنه كان مغرمًا بقراءة التاريخ .. قرر اشباع هوايته وفكر في أن يجذب القراء الذين اعجبوا بقصصه البوليسية إلى قصصه التاريخية.

وفي عام ١٨٩٣ كتب نهاية لحياة شارلوك هولمز قال وهو ينعي فيها القصة والشخصيـة الشهـيرة أن هولمز .. مات واستقرت جثته في أعماق شلالات (رشنبـاخ) السـويسريـة .. وهناك سترقد إلى الأبد جثة اعتى المجرمين .. واشهر رجال البوليس في هذا القرن بعد أن سقطت الجثتان معًا أثناء الصراع الدامي الأخير بينهما.

وكـانت المفـاجـأة الصعبة .. لقد تحول القراء عن قراءة الصحيفة .. غضبوا وراحوا يلقون الفاظًا قاسية على كونان دويل ويطالبونه بإعادة حياة هولمز .. أو على الأقل الكتابة في موضوعات مشابهة من خلال شخصية جديدة .. لكنه أصر على كتابة القصص التاريخية ..التي لم تعد المجلة ترحب بنشرها..

وفي سبتمبر عام ١٩٠٣ وجد (دويل) نفسه في حاجة إلى المال .. وتأكد من أن القراء يهتمون بهولمز أكثر من أية كتابات أخرى .. فقرر العودة إلى هولمز أي قرر إعادة الشخصية من جديد.

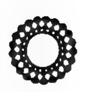
وكان الحدث سعيدًا بالنسبة للقراء فقدمت المجلة لهذا الحدث بدعاية كبيرة بدأتها بالعبارة التالية :

ما زال القراء يذكرون هولمز .. وكيف حولته مغامراته إلى أشهر شخصية في كل مكان ..

ومن حسن الحظ أن خبر وفاته لم يكن دقيقًا لأن شهود الحادث لم يكونوا قد تأكدوا مما حدث لذا فإن هولمز نجا من شلالات رشنباخ السويسرية واضطر لاخفاء سر نجاته حتى عن صديقه (د. والمون) خوفًا من شقيقة المجرم الذي قتله هولمز.

وبدأ كونان دويل يكتب الحلقات الجديدة والمجلة تنشرها..

وظل يكتب عن هولمز حتى بلغ مجموع كتاباته ٥٦ رواية خلال ٢٦ سنة .. صدرت آخرها في عدد ابريل عام ١٩٢٧، حيث مات بعدها هولمز بالشيخوخة ثم فارق كونان دويل الحياة تاركًا خلفه هذه الروايات يقبل عليها القراء حتى الآن بشغف وبنفس الحماس تقريبًا .. والاشتياق أيضًا.



مغامرة في مـرّاكش

من بين كل المدن التي زرتها .. ظلت مراكش لا تفارق خيالي كلما تذكرت المدن الجميلة..

مراكش تلك العروس المغربية الهادئة الساحرة التي تحفر في ذاكرة من يزورها .. بصمة ..

هذه البصمة انطبعت في ذاكرتي منذ ثلاث سنوات تقريبًا يومها قضيت اسبوعًا هو من أحلى أيام العمر بين أصدقاء مغاربة وزملاء من دول عديدة ينتسبون إلى مهنة البحث عن المتاعب أو صاحبة الجلالة الصحافة .

هناك في مراكش كانت عائشة فتاة مغربية الأصل .. لكنها الآن فرنسية تعمـل محررة بمجلة تصدر في باريس .. كانت كالنحلة لا تهدأ في مكان .. وطوال النهـار والليـل أيضًا كنا نشاهدها بعمرها الصغير ووجها الطفولي بقسماته المنمنمة.. تحمل كاميرا ضخمة فوق جسدها النحيل .. ومعها أيضًا

حقيبة صغيرة بها أوراقها .. شعلة نشاط لفتت إليها كل الانظار حتى أولئك الصحفيين الذين يرتدون الزي الرسمي بالكرافت .. كما هي عادتنا نحن الصحفيين العرب .

قلت لها: لعلها المرة الأولى التي أرى فيها صحفية عربية تنافس الصحفيين من الرجال .. فهذه الكاميرا أو القفز فوق الكراسي لالتقاط صورة ، والجلوس على الأرض ببساطة متناهية لتشغيل الكاسيت أو تسجيل كلمة في أوراقك .. ألا يعني هذا ان مجلتك حجزت لك نصف صفحاتها ..

هزت رأسها وقالت بدهشة : لماذا انني أفعل كل ذلك من أجل موضوع قد لا يزيد على نصف صفحة .

سألتها اذن لماذا كل هذه الأجهزة .. حقيبة .. وكاميرا اثقل من وزنك ..

قاطعتني : لا تنس أنني أعمل بمجلة فرنسية .. ولست في صحيفة امكانياتها محدودة أرسلت مندوبها الذي حاول الاستمتاع بالمدينة أكثر مما انجز من عمل.

كانت عائشة تتحدث بجدية تامة .. وحين قلت لها أنت تذكريني بصحفية ايطالية اسمها أوريانا فالاتشى .. اتسعت مساحة الابتسامة على وجه عائشة وضربت الأرض بقدميها الصغيرتين وصاحت بفرح شديد

- أنت تعرفها .. انها مثلي الأعلى.
- ولكنك يا عائشة صورة منها .
- ليس كثيراً انت تجاملني .. فأوريانا نموذج رائع للكفاح من أجل النجاح في الحياة .
- بل قولي انها مغامرة ذكية .. تفهم أت الحياة سلسلة من المغامرات المحسوبة بدقة .. لقد بدأت حياتها وهي في السادسة عشرة من عمرها حين إلتحقت بكلية الطب وكانت ظروفها الأسرية لا تسمح لها بالإستمرار في

الانفاق طوال سنوات الدراسة فكان عليها أن تبحث عن عمل .. ووجدته في صف الحروف بإحدى الصحف المحلية .. ومن هنا كانت البداية.

ومع الأيام كانت مواهب أوريانا تظهر .. فتاة طموحة تقرأ كثيراً وتعمل بجد .. كانت تهتم بالكلمات التي تجمع حروفها .. وكثيراً ما كانت تلاحظ بعض الأخطاء التي لم يلتفت إليها المصححون وبعد عامين انتقلت من العمل الفني إلى العمل التحريري .. ونظرًا لثقافتها كلفها رئيس التحرير بإعداد باب قضائي بالصحيفة وهنا كان عليها ان تختار بين الطب والصحافة فاختارت الصحافة .. وانتلقت إلى مجلة (اوربيو) التي تصدر في ميلانو..

وكان أول تعامل لها مع الشهرة حين كتبت تحقيقًا عن الولايات المتحدة وانطلقت بعده لتجري حوارات مع المشاهير في كل المجالات من تحرير المرأة إلى غزو الفضاء (وفي عام ١٩٦٧ عينت مراسلة حربية في فيتنام) هذه التجارب شكلت الخلفية المناسبة لكتاباتها الأولى التي كانت مزيجًا من الأبحاث والتحقيقات لم تتضايق أبدًا من أية مهمة عرضت عليها (مارست كل فنون العمل الصحفي) .

تقول أوريانا أن الحياة مغامرة .. والمغامرة أجمل ما فيها.

قالت عائشة: هذا صحيح .. وإذا كان زملائي في المجلة يرون أنني ناجحة في العمل الصحفي فهذا يرجع إلى فكرة المغامرة التي تسيطر على تفكيري .. انني أحب عملي .. وأعيش مع كل مهمة جديدة قصة حب تنتهي بتسليم الموضوع للمطبعة.

قلت لها : ولكن اللاشيء والمغامرات بمنطقتنا الشرقي شيء آخر ؟

ابتسمت وهي تلملم أشياءها استعدادًا للرحيل ثم قالت : المغامرة المحسوبة تؤدي إلى عمل ناجح .. وحتى لا تكون أي مهمة صحفية ثقيلة على

نفسي فانني انـظر إليها على أنها مغامرة جديدة ستضيف إلى رصيدي من التجارب شيئًا جديدًا .. ولهذا أقبل عليها بحب وقبل أن أقول لها أن هذا الكلام ليس مقصورًا على العمل الصحفي بل ينطبق بشكل أو بآخر على أي عمل يقوم به شبابنا وفتياتنا ..

علقت حقيبتها بكتفها اليسرى .. وحملت الكاميرا على كتفها اليمنى وقفزت لتجرى كأن ثعبانًا لدغها ..

وكنت أعرف وهي تودعني أنها ذاهبة إلى مغامرة جديدة في تلك المدينة الساحرة .

كانت أوريانا ـ كما قلت ـ تحب المغامرة .. وتقبل على أي عمل يسند إليها كأنهـا ذاهبـة إلى موعد غرامي مع حبيب عمرها ، أنها تحب العمل لدرجة الجنون .. وربما لهذا كادت أن تفقد حياتها أكثر من مرة .

فقد كانت تقتحم الأماكن الساخنة في فيتنام حين كانت مراسلة لصحيفتها في إيطاليا .. إلى أن اصيبت في ظهرها وساقها عام ١٩٦٨م.

وبعد ذلك انتقلت للعمل كمراسلة في الولايات المتحدة الأمريكية .. وخلا المـظاهـرات الطلابيـة العنيفـة التي حدثت في نيو مكسيكو ظهرت وكأنها متظاهرة ضائعة بين تلك الجموع الغاضبة مع أنها صحفية كانت تغطي المظاهرة لمجلتها.

ان حياتها في الولايات المتحدة فرضت عليها الكثير من الصفات الأمريكية كالرغبة الشديدة في المنافسة بحيث يجب أن تكون الأولى دائمًا إلى جانب استبسالها في العمل .. وسعيها إلى الفوز والتميز.

وأوريانا تتقن الإنجليزية والفرنسية والألمانية وطبعًا الايطالية.

وهي الآن تعدت الخمسين من عمرها .. عيناها زرقاوان لكن السياسيين الذين التقت بهم يقولون أنه ليس من الأفضل ان تتطلعوا إلى عيونها .. بل

إلى أسنانها فمنها تخرج النظرات الحادة والكلمات الحادة أيضًا.

وأوريانا عندما تجري مقابلة صحفية فانها تعد مسحًا سيكولوجيًا سريعًا للشخص وتـزود نفسهـا بكل المعلومـات المتعلقـة بخصـائص الشخص الايجابية والسلبية.

وفي اللحـظة المنـاسبـة تواجهـه وتصب هجـومهـا على نقطة الضعف الرئيسية في شخصيته .. وسرعان ما يتم تبادل الأدوار .. الزعيم يتحول إلى صحفي .. والصحفية تتحول إلى زعيم واثق بنفسه.

والمقابلات الصحفية التي تجريها على بعض الشخصيات تتحول أحيانًا إلى حلبـة ملاكمـة .. هذا ما حدث مع الصهيوني أريل شارون بعد قصف بيروت ..

فخلا الحوار وجهت له اتهامات مباشرة باللاإنسانية وتدبير عمليات القتل للأبـريـاء المـدنيـين وحين كان ينكرها كانت تقدم له الأدلة الموثقة باليوم والساعة .. فقد غطت الغزو الاسرائيلي وشاهدت كل شيء بنفسها.

والذين قرأوا هذا الحوار لاحظوا أن وزير دفاع الكيان الصهيوني الأسبق .. ضاق ذرعًا بها وهي تتهمه بالبربرية.

أوريانا نفسها قالت أنها توقعت حين قالت له ذلك .. أن يلطمها على خدها .. أو يأمر باطلاق النار عليها .. أو على الأقل يقبض عليها بتهمة التجسس لحساب ياسر عرفات.

* * *

أوريانا فالاتشى نجمة الصحافة الايطالية التي كسرت الأرقام القياسية في توزيـع الروايات حيث توشك الطبعة الثانية لروايتها على النفاد بعد أن

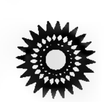
باعت ٤٠٠ ألف نسخة من طبعتها الأولى خلال شهرين فقط هما أغسطس وسبتمبر عام ١٩٩٠ والرواية عنوانها (ان شاء الله) وصدرت في حوالي ٨٠٠ صفحة وتدور أحداثها في بيروت ..

أوريانا كتبت الرواية في عشر سنوات وتحكي عن جنود ايطاليين عاشوا في لبنان في أصعب أيام الحرب الأهلية التي انتهت باتفاق الطائف ..

أوريانا ذات الوجه الصيني عمرها الآن ٦١ عامًا وهي تمثل أسطورة في الصحافة الايطالية ..

زارت معظم دول العالم وشهدت أخطر لحظات التاريخ المعاصر .. بوزنها الذي لا يتعدى ٤٥ كيلو جرامًا تنقلت بين باكستان ولبنان مرورًا بفيتنام وأدغال أمريكا الجنوبية وعلى مدى ٣٠ عامًا سجلت بقلمها الأحداث الساخنة في العالم .

عندما عينت مراسلة صحفية في فيتنام كتبت على خوذتها إذا مت ارجو ارسال رفاتي إلى البيت الأبيض، وشهدت أوريانا الحرب الفيتنامية ولم تمت .. بل ألفت عشرات الكتب ونشرت العديد من المقالات في العديد من الصحف الإيطالية .



تلك اللحظة

مرضت ابنتها الوحيدة .. وقال لها الأطباء أن المرض خطير ولا علاج له .. وأنها ستموت قبل أن يطلع الفجر.

ولم يكن أمام الأم غير أن تلجأ إلى الله لكي ينقذ وحيدتها.

أغلقت باب حجرتها وقضت الليل معها .. تقرأ القرآن .. وتدعو الله أن يشفيها .

كانت الدقائق تمضي ثقيلة .. والرعب يقفز إلى قلبها كلما اقترب الفجر .. ولم يكن يهدئ من روعها إلا الصلاة والدعوات إلى الله القادر على كل شيء.

وجاء الفجر مع ابتسامة ابنتها التي شفيت من المرض.

ومن هنا كانت نقطة التحول في حياة الأديبة جاذبية صدقي .. لا تسأل إلا الله .. ولا تسلك سلوكًا يخالف تعاليم الإسلام .. وراحت تمسك القلم لتسجل

شعورها في تلك «اللحظة المعجزة» .. وأعطاها الإيمان شحنة قوية تواجه بها متاعب الأيام .. وبدأت تكتب أول كتاب صدر لها منذ أكثر من ٢٠ عامًا وكان عنوانه «مملكة الله» وبهذا الكتاب بدأت الأوساط الأدبية تعرف قلمًا صادقًا جديدًا رحب به بعض الكتاب .. ووقف ضده كثيرون هاجموه .. وقالوا كلامًا أقل ما فيه أن الكتاب لا يستحق الاهتمام.

وقبل أن يتسرب الاحباط الأدبي إلى نفس جاذبية صدقي قال لها محمود تيمور .. لا تنزعجي من نقد أعمالك .. ضعي كل جريدة أو مجلة هاجمتك .. بعضها فوق بعض حتى ترتفع .. وقفي فوقها.

ومن هنا تعلمت ألا تنزعج من أي نقد يوجه إليها وقد كانت جاذبية بحكم تجربتها .. قوية لأنها مؤمنة أن الله معها.

وظلت تبدع وتنشر قصصها في الصحف والمجلات حتى أصبح لها أكثر من ٤٠ كتابًا، وثلاث روايات درسها تلاميذ المدارس الإعدادية في مصر منذ الستينيات هي : بين الأدغال .. وابن النيل .. والقلب الذهبي.

سألت جاذبية صدقي : من أول قارىء لانتاجك القصصي؟

أجابتني بفرح شديد : أحب شخصية إلى نفسي .. أحرص على الاستماع إلى رأيها لأنها ذكية .. وأعرف من خلالها رأي قرائي فيما اكتب.

انها ابنتي ..

إمـــرأة بحجم الأحزان والدمـوع.. أيـــن

سألني : هل تقرأ لنزار قباني؟

أجبت بسؤال آخر: وهل تظن أن واحدًا من جيلي لم يقرأ أو يسمع شيئًا له؟!

- أنت إذن تعتبر نفسك من هذا الجيل المنكوب ؟

- ولماذا هذه الكلمة الصعبة .. نحن جيل سعيد الحظ لأنه عاش في عصر ثرى بالأحداث والشخصيات والأفكار.

- عن أية أحداث تتحدث .. عن هزيمة ٥٦ .. أم نكسة ٦٧ أم كامب ديفيد والتفاوض مع العدو..

- في جيلنا أحداث رائعة فلماذا تتحدث فقط عن السيئة هناك نجاح الثورة الأم في عالمنـا العـربي عام ١٩٥٢ في مصر وتحـرير الشعوب العربية من

الاستعمار وهناك انتصار اكتوبر ١٩٧٣ وأحداث أخرى عظيمة، هناك أيضًا الزعـامات الكبيرة في السياسة والأدب ابتداء من جمال عبد الناصر وأنور السـادات ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ويوسف إدريس ومحمد عزيز الحبابي والطاهر بن جلون والطيب صالح.

- لماذا لم تذكر من بين هذه الأسماء الكبيرة نزار؟
- لأننا بدأنا به الحوار ولم ننته بعد ولا أعرف حتى الآن لماذا كان سؤالك؟!
- أردت فقط أن أعرف رأيك.
- هل قلت لك انه شاعر كبير؟
- الم تلحظ جرأته الشديدة؟
- بالعكس جرأته .. سر نجاحه كشاعر ولكنه أحيانًا يبتعد عن قيمنا .. وهذا ما اختلف معه فيه.
- انه يحاول هدم القيم السامية.
- انت لم تفهمه ولم تقرأ له كثيرًا إن هذا الاتهام سمعته .. لذا أرجوك أن تدرسه بنفسك ، إنه شاعر يختار مفرداته بدقة ويكتب عباراته بعناية فائقة وخيال رائع.
- أعرف أن لغته الشعرية راقية جدًا ولكني لم أعرفه ولم أعرف أسلوب تفكيره.
- هل تعرف ماذا قال حين سئل: من أنت؟!
- كيف كانت اجابته؟
- أجاب : أنا قصيدة ملفوفة بحزام من المتفجرات فأرجو ألا تقتربوا مني كثيرًا .. ثم أنا شاعر بلا أسرار لأن كل فضائحي الجميلة منشورة على حبال العالم العربي منذ خمسين عامًا.
- أهو يكتب منذ ٥٠ عامًا؟

- تقريبًا.

- هل تتصور أن هناك سؤالًا لم يوجه لنزار بعد هذا العمر؟

- دعني أنقل لك جزءًا من حوار ممتع أجراه معه محمود شريح حيث قال أن هناك سؤالًا كان دائمًا يتمنى أن يوجه إليه وهو ما علاقتك برائحة الحبر؟

- وماذا كانت اجابته؟

- قال ان حبر المطبعة هو العطر الوحيد الذي يدوخني وفي لحظة من لحظات الجنون كنت أطلب من حبيبتي أن تضع خلف أذنيها نقطتي حبر .. لأنني أفضل رائحة الحبر على عطور .. غيرلان وشانيل وكريستيان ديور ونينا ريتشي .. من خلال رائحة الحبر كنت أحب النساء هذا اعتراف أقوله للمرة الأولى .. وكان أكثر ما يثيرني أن أرى تلميذة مدرسة عائدة من مدرستها وعلى أصابعها بقايا حبر أما الورق فهو نقطة ضعفي فالورقة البيضاء أو الزرقاء أو الوردية هي أفق مفتوح يغريني بأن أنزع ثيابي والقي بنفسي فوق امواجه ثم أنا ضعيف أمام كل أنواع الأدوات المكتبية .. وعندما أصل إلى لندن لا أذهب إلى محلات (هارودز) كما يفعل السياح العرب بحثًا عن القمصان والأحذية وربطات العنق وإنما اقضي ساعات لدى صديقي بائع القرطاسية لاشتري أقلامًا غريبة الأشكال وأوراقًا مثيرة الألوان ودفاتر صغيرة أسجل عليها بدايات قصائدي ومحايات وصحفًا ودبابيس.

وعندما أعود إلى البيت أفرش كنوزي أمامي واقعد على الأرض العب .. كما يلعب الطفل بلعبة جديدة وصلته في عيد ميلاده.

- وماذا عن رأيه في المرأة؟

- يقول : لم أعد أومن بامرأة تستنفر طاقاتها على سرير الحب .. ولا تستنفر طاقاتها لتحرير الوطن أو لتحرير نفسها .. علاقات الحب اصبحت علاقات

معقدة جدًا في هذا العصر المعقد .. ولأنني شاعر مسكون بالقلق ومحترق الأعصاب فلن تعد النساء الجالسات تحت السيشوار يثرن حرائقي أو يشكلن جزءًا من همومي .. انني أبحث الآن عن امرأة تكون بحجم احزاني وحجم مدامعي.

أما اللواتي يمشطن شعرهن على شاطئ اللامبالاة فلا مكان لهن على أوراقي .. لقد تغيرت طبيعة العشق فاصبح ٥٠٪ منه عشقًا .. و ٥٠٪ سياسة وعلى هذا الأساس وضعت استراتيجيتي الجديدة مع عمق اعتذاري لجميل بثينة وقيس بن الملوح ومصطفى لطفي المنفلوطي.

- ولكن كيف نجح نزار؟
- هو يجيب قائلاً.. بالحب والصدق والشجاعة

الـ ٢٠٠ مليون عربي الذين يقرأونني لم اتعامل معهم كرجل بوليس أو كضابط مباحث دائمًا دعوتهم هم وأولادهم إلى حفلة شاي وقدمت لهم فناجين الشاي وأطباق الحلويات بيدي .. لغتي لم تكن لغة ديكتاتورية .. وانما كانت لغة سهلة وبسيطة وتحاول التفاهم شعريًا مع أي غيمة وأي شجرة وأي عصفور من عصافير العالم العربي.

باختصار لقد أسست جمهورية ديمقراطية للشعر عدد سكانها بموجب أخر احصاء هو ٢٠٠ مليون نسمة .. وفي بدايات القرن القادم سيصبح عدد سكان جمهوريتي الشعرية كعدد سكان الصين الشعبية.

* * *

أحببت نزار قباني أكثر من أي شاعر آخر.

ومثل كثيرين من الشباب العربي هزتني الكلمات الرائعة التي كان يختارها نزار بدقة بالغة .. وأطربني خياله الرائع الذي يلبسه كلماته الجميلة.

روايتها الأولى

عمرها ٢٦ عامًا لكن الشهرة التي حققتها روايتها الأولى تفوق الوصف هي نفسها لم تكن تصدق ذلك..

انها كريستين ماكلوى أحدث وجه في الساحة الأدبية بالولايات المتحدة الأمـريكيـة منـذ شهر مارس ١٩٩١ .. حين أصدرت رواية طويلة عنوانها «السرعة» فأحدثت ضجة في الأوساط الأدبية بنيويورك وهي الآن تصدر لها عدة طبعات في العديد من دول العالم بدأت بالبرازيل واليابان بعد فرنسا طبعًا.

وكريستين كانت سكرتيرة تعمل بإحدى الشركات الأمريكية لكنها كانت تشعر بأن لديها موهبة الكتابة .. ففي مذكراتها الخاصة كانت تسجل خواطرها وكان حلم الكتابة يراودها لكنها كانت تشعر بالخوف وتتردد في دخول عالم الأدب كلما تذكرت أنها يمكن أن تفشل ويهاجمها النقاد .. كانت تخشى أن تحاول نشر كتابتها فتفاجأ بمن ينتقدها .. لكنها في النهاية حسمت الأمر وقررت أن تخوض التجربة بشجاعة ونجحت .. روايتها «السرعة» تروي قصة فتاة شابة ترحل من نيويورك ـ حيث كانت تدرس ـ إلى جنوب ولاية كارولينا بعد وفاة والدها وفي هذا الجو المغلف بالكآبة والصمت والحزن تبدأ ذكرياتها ومشاعرها في الاستيقاظ ثم تتعرف على جارها وهو من أصل هندي .. وتتطور العلاقة بينهما حتى تنتهي بالزواج لتتخلص من شعورها بالضياع الذي يطاردها ولكي تحقق رغبتها في الامتلاك والعيش في حب حتى ولو كان ذلك على حساب عقلها..

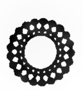
والمهم أن الرواية نجحت جماهيريًا رغم أنها لا تقول شيئًا له مضمون أدبي عميق ..



الكتابة الكوميدية للتلفزيون

كلارا لين واحدة من أشهر كاتبات المسلسلات التليفزيونية في انجلترا .. والكوميديا تميز المسلسلات التي تكتبها ومؤخرًا تعرضت لهجوم بعض النقاد حيث اتهموها بأن الكوميديا عندها هدفها الضحك فقط ومعظم كتاباتها تركز على المرأة .. لكنها دافعت عن نفسها وقالت أن أعمالها تتميز بالواقعية وإلى جانب الضحك تضم المأساة .. لأنها ترى أن الحياة هي مزيج من الكوميديا والمأساة .. أما عن نقطة اعتمادها على المرأة فهي ترى أن قصصها مليئة بالرجال أيضًا لكنها اعترفت بأنها قد تكون أكثر حساسية لانفعالات المرأة وتقول أن الرجل والمرأة بشكل عام يضحكان لنفس الأسباب..

وكلارا بدأت الكتابة للتليفزيون منذ ١٦ عامًا .. وعالجت خلال تلك الفترة جميـع القضايا الاجتماعية مثل الخيانة الزوجية وفشل الزواج والشعور بالوحدة .. في شكل كوميدي .. أنها ترى أن معالجة هذه القضايا في قالب كوميدي أفضل من الأسلوب الجاد لأن هذه الموضوعات بالذات يعجب بها الناس إذا كانت ضاحكة.



سـوزان !!

هي .. رمز لقصة حب فريدة في عصرنا الحديث تستحق التقدير.

قصة نقرأ عنها في الكتب .. ونشاهدها في الأفلام والمسلسلات ومن النادر أن نجدها في الواقع .. وأنا أعرف نماذج تعد على الأصابع تعيش مثل هذه القصة .. وأقول أنها نادرة وليست مستحيلة فالمرأة الجميلة الوفية المخلصة حين تلتقي بالرجل المخلص الأمين تتحقق بينهما «المودة والرحمة».

وقد عاشت «سوزان» حياتها الرائعة مع زوجها طه حسين .. وألفت عنه كتابًا نادرًا كقصة حبها.

وحين ماتت في عام ١٩٩٠ شعرت أن كتاب الحب في عصرنا الحديث خسر قلبًا كبيرًا .. ورحت أعيد قراءة أوراقه من جديد .. وكنت كلما حاولت الكتابة عنها أشعر أن صفحات الكتاب لم تنته به .. وأن القصة أرى ظلها عن قرب بشكل أو بآخر ..

وفجأة هاجمني عنوان كتابها الوحيد «معك» .. الذي صدر بعد وفاة طه حسين بخمس سنوات .. وكأنها بعد هذه السنوات كانت تعيش معه.

إنها تروي قصة الكفاح الذي خاضه طه حسين حتى أصبح هرمًا أدبيًا في فكرنا الحديث .. وكانت هي في الظل تربي ابناءه وتحقق له المودة والرحمة التي تحميه من عواصف الآخرين وقسوة الأيام .

طه حسين وصفها بـ «الملاك» .

لقد واجهت سوزان الدنيا يوم أحبت طه حسين

أهلها إعترضوا عليه .. وصرخوا في وجهها .. كيف تتزوجين من أعمى وأجنبي ومسلم .. وكل صفة من الثلاث كفيلة برفضه ..

غير أنها تحدت العالم وأصرت على الزواج منه .. ولم يؤيدها غير عمها الذي بارك هذا الزواج الذي صنع بعد ذلك قصة رائعة .. حيث راحت تتابع بسعادة زوجها وهو ينجح .

كانت زوجة تعرف دورها الحقيقي .. وتمارسه بذكاء بالغ .. كانت تقف خلفه تشارك في صنع هذا النجاح بعيدًا عن الناس.

ترى أين سوزان في عالمنا العربي ؟!

من الطفولة التعيسة إلى الملايين .

إذا كنت تحلم بأن تكون إنسانًا ناجحًا وتحقق الشهرة والمال في المستقبل فلا تستسلم أمام أول عقبة تواجهك .. قاوم .. واصبر وسوف تصل .

هذه هي النصيحة التي يؤكدها (بول لوب سولتيزر) في كتاب يحقق الأرقام القياسية في التوزيع في الولايات المتحدة.

الكتاب عنوانه (الامبراطور) وبيع منه حوالي مليون نسخة تقريبًا وجنى من ورائه المؤلف أكثر من مليوني دولار .

وبول ليس كاتبًا متخصصًا ولا هو صحفي يحترف مهنة الكتابة .. هو فقط رجل أعمال ناجح حقق الملايين .. فاقنعه أحد الناشرين بأن يكتب قصة حياته فكسب ملايين أخرى من كتابه . أي أن المال يأتي بالمال.

يقول في كتابه إنه إنسان محظوظ .. فقد عاش طفولة تعيسة .. مات أبوه

وكان عمره هو لم يتعد العاشرة . ورغم أن أباه كان ثريا إلا أن أسبابًا عديدة منها الديون جعلته لا يحصل على الميراث فترك الدراسة وعمره ١٦ عامًا.. والتحق بعمل يدر عليه دخلًا يعيش منه ولأن العائد لم يكن يفي بمتطلباته تركه .. وذهب إلى عمل آخر وبدأ يتعرف على نفسية البشر .. من خلال الذين يتعامل معهم .. واكتشف أن الجميع يشتركون في صفة واحدة وهي الامتلاك حتى إذا تظاهروا بغير ذلك..

ولاحظ أن بعض الناس تهوى جمع أشياء عجيبة لا معنى لها .. ففكر في استغلال ذكائه .. وسأل نفسه لماذا لا يدفع الناس إلى اقتناء سلاسل المفاتيح .. ثم دعا لإنشاء نادٍ لهواة جمع سلاسل المفاتيح .. وأعلن عنه في الصحف ولاقت الفكرة رواجًا وانتشرت بعد ذلك نوادي جمع سلاسل المفاتيح التي كانت تبيع أنواعًا مختلفة من هذه السلاسل حيث كان بول قد بدأ في تصنيعها بعد أن كان يستوردها من تايوان وانتشرت موضة جمع سلاسل المفاتيح وازداد ثراء بول ودخل في عالم تجارة الانتيكات المقلدة التي كان يستوردها من هونج كونج وحقق المليون الأول.

ويقول بول لكي تكون غنيًا يجب أن تملك المال أولاً وطبعًا إذا كنت تملك ١٠ آلاف أو ٢٠ ألف دولار فنصيحتي لك أن تنفقها وتستمتع بالحياة ولا تفكر في الانضمام إلى عالم المليونيرات لأن المشكلة هي أنك لن تستطيع استثمار مبالغ صغيرة .. لا بد أن يكون لديك مال وفير حتى تسير في طريق الكسب وتتحمل في نفس الوقت الخسارة المتوقعة في أية لحظة .

أما النصيحة الأهم فهي ألا تكون مجبرًا على كسب قوت يومك ومكبلًا بالمسئوليات .. فمن أجل تحقيق الثروة يجب أن تمتلك الحرية والقدرة على المجازفة .. ومعهما روح ساخرة لا تهتم بالخسارة .

والمهم .. أن تحلم ولا تتوقف عن الحلم ..

أصحاب الملايين

بعض الناس يفهمون أن النجاح في الحياة .. هو كسب أكبر قدر من المال ولا يشغلهم غير السؤال عن كيفية جمع الثروة .. لكي يكونوا من أصحاب الملايين.

وهذا السؤال أجابت عليه كاتبة فرنسية اسمها (دومينيك فريشو) في كتاب نشرته في باريس عنوانه «صانعو الثروة».

ومن خلال اللقاءات التي أجرتها مع كبار «المليونيرات» في العالم لاحظت أن القاسم المشترك بين معظمهم .. ليس الوراثة .. بل الطفولة التعسة .. ومعظم الذين قابلتهم دومينيك عاشوا يتامى منذ طفولتهم بعد فقد الأب .

وقد يكون اليتم هو السبب في تحملهم مسئوليات الحياة مبكرًا وجديتهم في مواجهة مصاعب الدنيا ومصائبها خاصة إذا كان اليتم مقرونًا بالفقر فمن أكبر الدوافع للحصول على الثروة النقمة المبكرة على المجتمع نتيجة الطفولة الفقيرة المعذبة وبدل أن تنفجر هذه النقمة عبرالنضال السياسي أو الأعمال الأدبية وجدت أن طريقها الأفضل للانتقام من قسوة المجتمع هو جمع الثروة التي هي رمز السلطة المفقودة.

لاحـظت دومينيك أيضًا أن معظم الأثرياء لم يكونوا تلاميذ ناجحين في دراساتهم وبعضهم لم يتجاوز المرحلة الثانوية وقد يكون سبب ذلك أنهم يتمتعـون بطبيعـة قلقة .. ومزاج صعب يتحول إلى شعور بالنقص تجاه الآخرين .. وهنا يحاول هؤلاء أن يجدوا مكانتهم في المجتمع عن طريق المال بعد أن خسروا رهان العلم والثقافة.

والأثـريـاء هم الذين لم ينحصر تفكـيرهم في نظريات وأحكام مسبقة .. ولديهم رغبة هائلة في النجاح وحب السيطرة والثقة بالنفس .. وهذه العوامل تظل في حاجـة إلى الموهبة أو ما يسمى الحس التجاري وهو ما نعبر عنه بقـولنـا (التجـارة في دمـه) وهذه الموهبة وحدها تقرر مستقبل أي إنسان فالمـوهبة التجارية تعني الذكاء .. وابتكار مختلف الوسائل للحصول على المال .

وبعض البـاحثين يطلقون على المليونير لفظ لاعب البوكر أي الشخص الذي يتميز بالقدرة على ضبط أعصابه وخداع الآخرين من أجل السيطرة عليهم ومنافستهم.

بقي أن نشير إلى أن دومينيك قدمت نماذج غريبة للناجحين وهناك نماذج ربما لم تعرفها .. نماذج تعتمد في نجاحها على الأخلاق والمباديء التي حددها لنا ديننا .. والنماذج كثيرة في عالمنا العربي.

إنتظار الموت

لم يكن أمام الأطباء إلا مواجهة الموقف بكل صراحة ..

قالوا لها : لا أمل في شفائك .. فالموت قادم لا محالة .

وكان على ميشلين برتان أن تعود إلى منزلها لترعاها ممرضة تنفذ تعليمات طبيب يتردد عليها حتى تحين الساعة .. ولم يكن يؤلمها غير بناتها الثلاث الصغيرات اللاتي فقدن الأب .

وكلما شاهدت فتياتها شعرت بأن دورها كأم يجب أن يذعن لكلام الأطباء.. أو على الأقل يجب عليها ألا تجلس في منزلها تنتظر الموت .. كانت ترى أن دورها يقتضي أن تفعل شيئًا مفيدًا حتى تأتي ساعة النهاية .

فكرت في الرسم .. أمسكت بالقلم دون أن تكون قد رسمت شيئًا من قبل .. وراحت ترسم صورة تمثل الطبيعة وهي تذبل .

شجعتها الممرضة وأبدى الطبيب اعجابه بالرسم فقد رأى أنه من الأفضل أن تنشغل ميشلين عن المرض .

وذات يوم .. خرجت من المنزل سرًا .. وذهبت إلى محل لبيع أدوات الرسم وطلبت من صاحبه أن يشرح لها القواعد الأساسية بعد أن أخبرته بأنها ترسم لكي تتغلب على مرض خطير يهدد حياتها بالموت.

وراح الرجل يعلمها المبادىء الأساسية في الرسم .. كيف تمسك الفرشاة وكيف تتعامل مع الألوان .. وكيف تبدأ في وضع أول خط في اللوحة .. وهكذا أنغمست في الرسم ولم تعد تفكر في المرض .

واستمـرت ميشلين في هذا الصراع مع المـرض ٧ سنـوات كاملة حتى انتصرت عليه .. وبدأت حياة جديدة.

لم تكن تصدق ذلك الأمر .. لكنها الحقيقة التي سرعان ما شعرت بها في نظرات الدهشة لدى كل المحيطين بها وكان عليها بعد ذلك أن تبدأ حياتها الجديدة وأن تطوى الماضي.

انتقلت إلى شقة جديدة ولم تأخذ من ماضيها غير فتياتها الصغيرات ..

وفي نفس اليـوم الذي انتقلت فيـه إلى هذه الشقة قرأت إعلانًا عن دار تصنيع القبعات تحتاج إلى عاملة فذهبت لتجرب حظها .. ونجحت في العمل .. وبدأت تفكر في ابتكار أشكال جديدة للقبعات .. ومع كل فكرة جديدة كان تقدير الرؤوساء لها يزداد .. وأيضًا يزداد راتبها شهرًا .. بعد شهر .. حتى منتصف عام ١٩٨٤ حيث قررت أن تؤسس دارًا للقبعات باسمها تبتكر فيه وتنتج وتبيع .. وهي الآن من أشهر دور القبعات في باريس ..

وميشيل برتان لم تكن هي الأولى التي تواجه عوامل اليأس والاحباط .. هناك غيرها كثيرون .. ومنهم بطل العالم للملاكمة جولويس .. ففي طفولته لاحظت أمه يده النحيلة وأطرافه الضعيفة فذهبت إلى الطبيب الذي أكد لها أن جولويس لا يستعمل يديه أبدًا نتيجة الضعف العام الذي يعاني منه .. وطلب منها الطبيب أن تحاول تدريبه على استخدام يديه .. وحاولت بالفعل أن تستفيد من كلام الطبيب وأخذت تدربه على استخدام يديه.

اشترت له الألعاب التي تساعده على ذلك .. وبمرور الأيام تحسنت صحته وأصبح يستخدم يديه أكثر مما يجب .. فقد أصبح بطلًا للملاكمة على مستوى العالم .

* * *

أما الفنان همفري بوجارت أشهر من قام بأدوار العنف على الشاشة .. فقد واجه مشكلة في بداية حياته كادت تحطمه إلا أنه قاوم حتى حقق لنفسه النجاح ..

كان قد أصيب أثناء الحرب العالمية الأولى بشظية أدت إلى شلل في شفته العليا .. وأصبح عليه أن يبحث عن عمل آخر بعيدًا عن السينما خاصة بعد أن أكد له الأطباء أنه لا يستطيع أن يمثل لأنه ينطق الحروف مبتورة وأن صورته على الشاشة ستكون مشوهة ..

لكن همفري لم ييأس .. ظل يبحث عن دور يناسبه ويحاول اقناع بعض المخرجين باستخدامه في أفلامهم حتى وجد أحد المخرجين أن الشلل في شفته يجعله يظهر أكثر قسوة وتشددًا فأسند إليه دورًا كبيرًا في أحد أفلامه فنجح ودخل بذلك عالم الشهرة في السينما .

القلب الشجاع

إذا كان النـاس يؤمنون بالله .. ويثقون بقدراتهم الشخصية ويقولون لأنفسهم .. سوف ننتصر .. فإنهم ينتصرون فعلاً..

هذه خلاصة تجربة في الحياة لكاتبة ألفت كتابًا واحدًا فقط .. قفز بها إلى عالم الشهرة وهي في عشرينيات عمرها .. إنها جوان جيسبي وكتابها الذي حقق نجـاحًـا منقـطع النـظير لا تزيد صفحاته على ٦١ صفحة من القطع المتوسط .. وعنوانه «القلب الشجاع».

وجـوان تروي في هذا الكتـاب قصة كفاحها ضد مرض السرطان .. كان الأطباء قد أكدوا لها أن أمامها ٦ شهور فقط وبعدها لا بد أن يفتك السرطان بجسدها .. وتودع الحياة .

تقول جوان «إن البعض لا يصبر على تعاطي حبوب لا نهاية لها .. ولا يتحملون عذاب العـلاج بالمـواد الكيميـائية والأشعة وسرعان ما يقولون لأنفسهم .. لقد تعبنا وتعذبنا بما فيه الكفاية .. ويتساءلون في غضب وجهل : لماذا اختارنا الله لنمرض ونتألم ..

وأقول له قناعتي الشخصية .. وهي أن السماء لا تختار أحدًا لكي يمرض ويشقى .. إن المرض مثله مثل أي شيء يحدث للجميع بدرجات متفاوتة .. وإذا رغب شخص في الشفاء فإن الله يساعده.. وعليه فقط أن يحاول .

وتقـول جوان .. إن البعض لا يريد أن يحارب معركته ويستسلم للهم والغم ..

إن لي حيـاة واحدة في هذا العالم ويجب أن أحياها .. وما دمت في هذا العالم فلا بد أن أحارب وأقاتل وأقاوم وسأنتصر.

لقد قال الأطباء إنني لن أعيش .. ولكني كنت أعتقد أن مواجهة المرض بإيمان .. يحقق الشفاء .

إن الإيمان .. والثقة بالنفس أول عوامل النجاح ..

وقد سردت هذه العبارة من كتاب جوان لكي أقول لليائسين إن الحياة حلوة .. إذا تحمل الإنسان متاعبها وقاوم مشكلاتها .. ووثق بأن الله مع كل مجتهد.

معاهدة الموت

كان يرى أن زوجته أشجع امرأة في العالم .. وهي كانت تعتبره أعظم رجل في حياتها ..

عاشت معه ٢١ عامًا .. كان إلى جانبها قبل أن تودعه إلى العالم الآخر .. يراها تقترب من هذا العالم يومًا بعد يوم فيحبس دموعه ويخفي أحزانه العميقة ويبتسم وهو يقدم لها العقاقير ويصحبها يوميًا إلى المستشفى .. يحاول أن يظهر أمامها قويًا شجاعًا لكي يعطيها أملاً يفتقده وهي تعرف تمامًا أن النهاية قادمة لا محالة .. وأنه يتعب نفسه أكثر من اللازم.

أما هو فقد ترك السينما ولم يعد يعمل وابتعد عن ممارسة هواياته الرياضية .. وحين يلح عليه المنتجون والمخرجون لكي يعود إلى جمهوره يقول لهم بألم شديد أنه لا ينسى أن جيل ايرلاند زوجته ضحت بعملها الفني وبحياتها الماضية كلها يوم تزوجته عام ١٩٦٩.

أنه تشارلز برونسون نجم السينما الأمريكية .. ابن عامل المنجم البالغ من العمر ٦٥ عامًا والذي برع في أداء أدوار الشر على الشاشة الفضية.

أنه يخفي في داخله قلبًا رقيقًا للغاية .. ولا يزعم أنه يضحي ولا يشكو .. بل يرى أنه يقوم بأفضل دور في حياته .. وهو دور الزوج المحب لرفيقة دربه.

لم يتخل عن الأمل في شفائها من السرطان الذي يفتك بجسدها رغم ان الأطباء أكدوا له أن الأمل ضعيف لكنه كان يثق في شجاعة زوجته التي قاومت المرض وتقاومه رغم الآلام المبرحة التي تحطمها يومًا بعد يوم.

أكد لكل المحيطين به أنه سيقضي أيامه الباقية إلى جوارها حتى الموت .. موته أو موتها لا فارق كان يجلس معها كل يوم بالفندق الذي يستأجر جناحًا به وهو فندق يقع بالقرب من العيادة التي تتردد عليها زوجته جيل ايرلاند (٥٢ عامًا) يشاهدان التليفزيون ويتناولان الطعام ويقوم هو بتقديم الأدوية إليها في مواعيدها وهو أيضًا الذي ينقلها إلى العيادة. ويبقى هناك كل الوقت إلى جانبها ينتظر بهدوء ويحمل أجهزة العلاج المتصلة بأنابيب متعددة تظل متصلة بجسدها طوال اليوم .

إن تشارلز برونسون رجل فريد في عصرنا الحديث عاش قصة حب رائعة مع زوجة حملت عنه هموم العالم وأعطته شبابها .. فأعطاها أيامه الباقية ..

وفي عام ١٩٨٤ قال الأطباء لجيل أنها مصابة بسرطان ثدي وقرروا ازالته .. وحذروها من احتمال عودة هذا المرض اللعين بعد خمس سنوات فاستجمعت قواها وبمساعدة زوجها راحت تقاوم الخوف الذي يهددها كل لحظة .. اجتهدت في تأليف كتاب عن تجربتها مع المرض وكان كتابها (ارادة الحياة) الذي وجد ترحيبًا كبيراً من القراء ثم ألفت كتابًا ثانيًا عنوانه (خطوط الحياة).

وفي عام ١٩٨٩ اكتشف الأطباء أن المرض اللعين يتطور بشكل خطير في جسدها وقالوا لها أن أمامها في الحياة عامين أو ثلاثة فقط .. ورغم قسوة الألم ورجفة الخوف من المستقبل حاولت جيل التغلب على كل خطوط اليأس .. والفت كتابها الثالث الذي وضعت له عنوانًا هو (أوقات الحياة) .

تقول جيل: لا شك أنني أتوهم .. هل صحيح انني على شفا الموت .. هل سأموت فعلًا بعد أيام؟

هل سيوزعون ملابسي وأشيائي الصغيرة؟ كيف ستتصرف عائلتي يوم الدفن؟!

لا أريدهم أن يحزنوا أريدهم أن يحتفلوا بموتي لشدة تعلقي بالحياة .. كيف سيتلقى والداي الخبر .. هل سيفكران في أنهما عاشا أكثر من ابنتهما

في داخلي صوت يقول لي (عيشى حتى اللحظة الأخيرة).

في الحقيقة أنني لا أضجر من الحياة .. حتى في لحظات الألم فالألم يؤكد لي انني ما زلت على قيد الحياة ..

لكني لا أنكر انني مريضة .. وأن مرضي خطير .. وانني لن أعيش كثيراً .. لكنني مصرة على العيش حتى الرمق الأخير ..

وبهذه الروح المشبعة بالتحدي قاومت جيل ايرلاند متاعب الحياة . حتى ماتت في عام ١٩٩١.

جيل ولدت في بريطانيا لأب يملك محلًا تجاريًا صغيرًا وفي الثالثة عشرة من عمرها بدأت تمثل على المسرح .. ثم انضمت إلى فرقة للباليه وبعدها دخلت إلى عالم السينما وتزوجت من الممثل دافيد ماك كالوم الذي مثلت معه عدة أفلام في إيطاليا .. استمرت زوجة له ما يقرب من ٦ سنوات وذات يوم كانت

هي وزوجها يشاهدان تصوير فيلم للممثل تشارلز برونسون الذي كان هو الآخر متزوجًا من الممثلة هاريت تندلر منذ ١٦ عامًا.

تعارفا .. واكتشفت جيل كما اكتشف تشارلز أن شيئًا ما يجذبهما ..

يومها قال لها ما كانت تريد أن تقوله هي أيضًا وعاشا قصة حب انتهت بانفصال كل منهما عن نصفه الآخر وتزوجا ..

اتفقا على تربية أطفالهما .. أطفاله من زوجته .. وأطفالها من زوجها السابق .. وبعد ذلك انجبا طفلة .. كما تبنيا ابنة صديقة لهما توفيت في حادث ..

وعاشا حياتهما في هدوء .. مثلا معا حوالي ١٠ أفلام.

وفي العام الأخير قبل وفاتها كانت الصحف العالمية تحتفي كثيرًا بجيل ايرلاند وتتحدث باسهاب عن شجاعتها في مواجهة السرطان .. وكيف أنها لم تحبس في فراشها لكي تنتظر الموت .. بل راحت تؤلف الكتب لتشغل نفسها وتقدم للآخرين أملاً جديد .. وقد نشرت مجلة باري ماتش الفرنسية ومجلة الوطن العربي في أكثر من عدد تحقيقات صحفية مطولة عنها .. واشتملت على نماذج مما جاء في مؤلفاتها..

تقول جيل ..

فيا لخامسة والنصف من صباح يوم مشمس .. قمت من سريري دون أن أزعج زوجي .. جلست في مكتبي أحلم واكتب .. أمامي كوب شاي ساخن .. أمسك به كي أشعر بحرارته .. ارتديت فستانًا قديمًا .. وهأنذا استعد لاستقبال يوم جديد في حياتي .

بعد نصف ساعة أو أكثر سأتناول دواء قد يخفف من ألم ظهري .. قال لي الأطباء أن أيامي أصبحت معدودة .. عامان أو ثلاثة أعوام على الأكثر بشرط أن أتناول الدواء بشكل منتظم وأن أوافق على جميع أنواع العلاج .. ومنها

جهاز ساعد قلبي على الخفقان ..
وافقت على كل ذلك وتحملت كل المتاعب لأنني أريد أن أعيش ..
وقريبًا سأخضع لمجموعة من الفحوص الدقيقة وقد يتقرر لي علاج جديد
.. فالسرطان الذي ينهش جسدي يقتل الكرات البيضاء الموجودة في دمي .
حياتي اليوم مليئة بالمواعيد الطبية .. فهل سأستمر على هذا المنوال؟

منذ فترة حين بدأ شعري يتساقط .. قرر شارلز أن يحلقه كله . وداعبني يومها قائلًا أصبحت تشبهين غاندي واضاف ضاحكًا حين ساستيقظ ساتصور انني كنت في سرير بن كينجسلي (الفنان الذي لعب دور غاندي في الفيلم الشهير).

فضحكت وانا اقول له انني اعتقد أن كينجسلي وسيم وقد ازداد وسامة بعد أن أصبحت اشبهه اليوم.

انا مستعدة للظهور علنا بلا شعر، لكن زوجي يصر على أن اضع (باروكة) على راسي وحين أكون في المنزل اترك الباروكة فانا لا أخشى مواجهة نفسي .. خاصة بعد أن مررت منذ عدة سنوات بتجربة صعبة حين قرر الأطباء استئصال جزء من صدري.

ان السؤال الذي يراودني اليوم هو: لماذا اختارني القدر لكي اتعذب بهذا الشكل والاجابة هي أنه قدري ومصيري الذي لا مفر منه.
وحين اخبرني الطبيب بأنني مصابة بسرطان الثدي كان ذلك عام ١٩٨٤
.. قلت انني لست الوحيدة التي تصاب بهذا المرض .. هناك ١٤٢ ألف امرأة امريكية تعاني منه كل سنة .. فلماذا لا أعيش التجربة .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت اقرأ الكثير عن المرض حتى أصبحت متخصصة في شئون السرطان وبدأت رحلة العلاج الطويلة بالأشعة وبعدها عدت إلى حياتي الطبيعية.

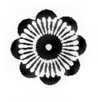
مثلت مع تشارلز برونسون في فيلم (الاغتيال) .. وكتبت روايتي الأولى .. التي حققت نجاحًا كبيرًا ..

وفي تلك الفترة علمت أن ابني «جاسون» يدمن الهيروين وان والدي أصيب بالشلل ولم يعد يستطيع الكلام ..

كل ذلك ضاعف آلامي .. ولم أجد مخرجًا غير الكتابة التي كانت طريق الخلاص الوحيد

لقد كتبت في تلك الفترة كتابًا عنوانه (خطوط الحياة) أسرد فيه قصة والدي الذي حارب كي لا يموت بينما كان ابني في الوقت نفسه يسعى لتحطيم نفسه .

ولأن هذا الكتاب نجح بدأت أكتب الثاني الذي كان اسمه «أوقات الحياة» رويت فيه قصتي مع مجموعة من النساء الرائعات ومنهن بيتي فورد التي ساعدتني بكل جهدها حين علمت ان ابني مدمن ..



كيف تثق بنفسها ؟

اهم نصيحـة يوجههـا د. رونـالد ريجيـو أستـاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا .. ان الشخصية القوية والثقة بالنفس يمكنهما اخفاء أكثر عيوب الجمال وضوحًا .. وهذا ما يحدث لكل المشاهير تقريبًا أن كل امرأة ترى في شكلها نقصًا يؤرقها .. عليها أن تحاول تعويضه وتحسين صورتها من خلال تكوين شخصية يكون لها تاثيرها في كل من حولها.

كيم باسنجر كانت الممثلة التي ذاعت شهرتها بعد فيلم الرجل الوطواط .. كانت تعاني من أن فمها كبير الحجم كانت تتصور أنه يجعل شكلها قبيحًا .. لكن اليـأس لم ينتصر على ارادتهـا حيث دفعتهـا ثقتها بنفسها وبموهبتها في التمثيل إلى اقتحام هوليوود التي لم تشعر فيها بان الفم الكبير عيب.

والممثلة انجي ديكنسون بطلة مسلسل المرأة الشرطية تعاني من صغر حجم وجهها لدرجة ان استخدام أدوات المكياج مع هذا الوجه يبدو مشكلة .. لكنها رغم ذلك نجحت وحققت شهرة كبيرة من خلال هذا المسلسل.

وصـوفيـا لورين كانت تعاني في بداية حياتها الفنية من انفها الطويل واقترح الكثيرون عليها ان تجري عملية جراحية لتتخلص من هذا العيب .. لكنها رفضت أن تغير ملامحها وهي ترى أنها لا تملك وجهًا جميلاً .. انها تملك وجهًا مختلفًا له جاذبيته الخاصة ..

وكريستي بريندل واحدة من أشهر عارضات الأزياء وفتاة غلاف ناجحة جدًا في الولايات المتحدة كانت مشكلتها الكبرى انها تعاني من نحافة زائدة .. وكانت تخفيها بالثياب والموديلات المختلفة .

وحين اضطرت لتصوير مشهد وهي ترتدي ملابس البحر عالجت الموقف بأن يتم التصوير وهي خارجة من البحر من مسافة بعيدة أو نصفها مدفون في الرمال .. أو تكون اللقطة جانبية حتى لا تظهر نحافتها بشكل كبير .

باختصار ان الثقة بالنفس تساعد المرأة في اخفاء عيوبها.

* * *

ان الفنان لا ينجح بمفرده .. انه يحتاج إلى من يساعده عندما يبدأ طريق الفن .. والفنـان الأصيـل هو الذي يعتـرف بالجميـل لاصحاب الفضل .. والفنانة المصرية نجلاء فتحي .. واحدة من هؤلاء .. انها تعترف بدروس كثيرة تعلمتها من الآخرين حتى اصبحت نجمة معروفة .

رصيدها من النجاح بنته بفضل المنتج الراحل رمسيس نجيب الذي تقول عنه .. علمني ما هو الفن .. وساعدني في علاج صوتي وطريقة الأداء حين قدمني للفنان الراحل عبد الرحيم الزرقاني .

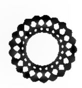
وتعترف نجلاء فتحي بأن عبد الحليم حافظ أعطاها الثقة بالنفس حيث ساعدها كثيرًا حين مثلت أمامه في المسلسل الإذاعي ارجوك لا تفهمني بسرعة» كان عبد الحليم حافظ يقول لها أنت موهوبة ويجب أن تثقي بصوتك وفنك ومن هنا كانت انطلاقة جديدة في حياتها الفنية حتى التقت بالفنانة نادية لطفي التي زادت من ثقتها بنفسها أكبر.

تقول نجلاء فتحي التقيت بنادية لطفي ذات يوم في أحد الاستديوهات اقتربت مني ثم سألتني :

لماذا تغلقين فمك عندما تضحكين ؟!

وقبل أن تلاحظ مفاجأة السؤال على وجهي قالت إذا كنت تخجلين من صوتك المبحوح فهو ليس مبحوحًا أكثر من صوتي .. وإذا كنت تخجلين من أسنانك المعوجة فهي تشبه أسنان الأرنب الجميل.

ومن يومها والثقة تزداد بالنفس التي دفعتها إلى تحقيق النجاح في عملها الفني .. إنها تعترف بأن نجاحها الفني اعطاها الكثير : اعطاها الشهرة والمال .. ولم يأخذ منها شيئًا .. ولم يحرمها من شيء.



مِنَ الفقر في بلجيكا إلى الثراء في هوليوود

أسطورة فنية جديدة دفعتها السينما الأمريكية مؤخرًا إلى العالم انه (جان كلود فان) الممثل الذي يحطم الأرقام القياسية ماليًا والذي أصبح يحتل مكانة بارزة بعد ارنولد شوارزينجر.

أنه يحصل على مبلغ ٣,٥ مليون دولار مقابل تصوير الفيلم هذا اخر سعر وصل إليه لكن أول فيلم مثله كان (بلودسبورت) الذي صوره في هونج كونج حصل فيه على (٥٠ ألف دولار .. وحصل في فيلمه التأثير المزدوج على ٦٠٠ ألف دولار ثم ارتفع الرقم إلى ١,٥ مليون دولار في فيلم الجندي الكوني .

وجان يتمتع برشاقة راقص الباليه وبراعة محترف الكاراتيه وهذا النجاح الذي يحققه الآن لم يأت سهلاً .. لقد تعب كثيراً في بدء حياته .. فهذا الرجل الضخم الذي يزن ١٨٥ رطلا من العضلات كان في طفولته هزيلاً في بلجيكا مسقط رأسه وكانت عائلته فقيرة وأرسله والده إلى أحد المراكز ليتعلم الكراتيه ويبنى جسده الضعيف .. وحين بلغ ١٩ عاما من عمره فاز ببطولة المتوسط للمحترفين في مباريات الرابطة الأوروبية للكاراتيه.

كان حلمه الكبير أن يعمل في السينما فهجر بروكسل وسافر إلى الولايات المتحدة قبل عشر سنوات تقريبًا كانت كل الأبواب الامريكية مغلقة في وجهه .. فلم يكن يتحدث الإنجليزية ولم يكن معه إقامة ولا أية أوراق تسمح له بالعمل هناك فاضطر للعمل كسائق سيارة .. ثم عمل في أحد مطاعم البيتزا ثم حارسًا في ملهي ليلي.

وذات يوم شارك كبديل للممثل في أحد الأدوار الخطيرة بالسينما .. ثم بدأ يقتـرب من حلمه بتمثيل بعض الأدوار الصغيرة وأظهر فيها مقدرته كبطل كاراتيه .. وجذبت هذه النوعية من الأفلام جمهورًا ضخمًا .. حتى أن أحد الأفلام التي شارك فيها في بدء حياته وكان اسمه (سايبورج) حقق أرباحًا تصل إلى ٩ ملايين دولار.

وبدأ يحقق حلمه وكثرت أفلامه وعرف طعم النجاح في السينما فاشترى مزرعة في لوس انجلوس واحضر والديه ليقضيا في مزرعته سنواتهما الأخيرة مع زوجته وطفليه.

وجان كلود فان .. يرى أن كل فيلم جديد هو عبارة عن مباراة جديدة يجب أن يفوز فيها .. ويقول ان فيلمه الأخير كان أفضل من الفيلم السابق والفيلم الذي قبله كان أفضل من الأسبق ويرى أنه لو استطاع أن يقوم بأدوار أفضل فهذا سيعطيه شعورًا بالرضا.

الطموح لا يقف عند حد

كان بطل العالم لكمال الاجسام لمدة خمس سنوات متتالية ولأن طموحه لا يقف عند حد .. فقد تطلع إلى بطولة من نوع آخر .. حين لعب دوره الأول في فيلم هرقل في نيويورك .. يومها داعبه حلم البطولة في هوليوود أيضًا.

ما دام كان بطل العـالم في الريـاضة فلماذا لا يكون الأشهر في السينما العالمية أيضًا .. وبالفعل حقق حلمه وما زال فيلمه ترمينيتور بجزئيه الأول والثاني يثير اعجاب عشاق الفن السينمائي في العالم.

وكانت الخطة الثالثة بعد نجاحه في عالم السينما أيضًا .. هي الدخول إلى عالم السياسة .. ربما ليترأس ذات يومًا أقوى دولة في العالم .. فقد كان المرشح لأن يكون حاكمًا لولاية كاليفورنيا.

أنه ارنولد شوارزنجر الذي بدأ مشواره نحو السياسة في عام ١٩٨٨ حين ساند الرئيس الأمريكي جورج بوش خلال حملته الدعائية في انتخابات الرئاسة .. وبعد أن فاز بوش .. عينه مستشارًا للصحة البدنية ونصحه يومها بأن يفكر في السياسة. لكي يستفيد من صورته على الشاشة كرجل عدالة يطهر المدن من العصابات والمخدرات ولأن طموحه لا يقف عند حد كما قال .. فإن هذه المرحلة الجديدة التي يتطلع إلى تحقيق النجاح فيها وهي عالم السياسة سيواجه فيها بعقبتين أساسيتين الأولى سهلة بعض الشيء وهي أن والده كان عضواً في الحزب النازي .. والحل الذي يسعى إليه شوارزنجر هو مصادقة أكبر عدد من اليهود في كاليفورنيا كي يكسب ثقتهم حتى لا يتهم بالعنصرية ومعاداة السامية وأيضًا تبرع بمبالغ ضخمة لمركز سيمون ويزنتال في لوس انجلوس . وهو مركز متخصص في مطاردة مجرمي الحرب النازيين .. ويبدو ان هذا الحل سيقضي على المشكلة الأولى .. أما المشكلة الثانية فهي تتعلق بمرض الكبد .. لقد قال له الأطباء ان كبده انتهى ولا بد من اجراء عملية لتغييره.

ان ارنولد شوارزنجر الذي بدأ حياته كمتسابق صغير في وطنه النمسا .. استطاع ان يحقق كل أحلامه في عالم ملىء بالمتناقضات والصراعات .. لكن كبده في النهاية هو الذي سيهزمه .. وهو الآن ينتظر نتيجة الفحوص الطبية لاختيار الكبد المناسب له تمهيدًا لاجراء الجراحة التي ستحدد هل سيقف طموح شوارزنجر عند هذا الحد أم أنه سيستمر ليحكم ولاية كاليفورنيا حين بدأ مرض الكبد يتسرب للصحافة ومؤخرًا رفع قضية ضد صحفي كتب أن عقاقير الستروید التي يتعاطاها شوارزنجر اصابته بالعجز الجنسي .. وتسببت أيضًا في افساد كبده.

ولم يجـد شوارزنجر مفرًا من الرد على الصحفي بعد أن بدأ صحفيون آخـرون ينشرون اخبـارًا عن حالتـه الصحية وقال في لقاء تليفزيوني انه استعمـل فعـلًا هرمونات السترويد ولكن خلال فترة كان يجهل فيها آثاره السلبية على الجسد .. وأكد انه يعارض الآن بشدة استخدام هذا الهرمون لأن لا يوجد شيء يستحق أن يخاطر الإنسان بتدمير صحته من أجله أيا كانت النتيجة.



الطلاق ليس نهاية الحياة

استمر زواجها ٨ سنوات كاملة عانت خلالها من متاعب لا حصر لها فقد كان الزوج يغار من نجاحها في العمل. وحين بدأت شهرتها تغطي عليه كان لا بد من الانفصال.

انها الممثلة الشهيرة سالي فيلد أما الزوج فهو بيرت رينولدز.

تقول سالي أن بعض الرجال يريدون أن يكونوا مركز الاهتمام وأن تكون المراة مجرد خادمة لهم تغسل الملابس وتجهز الطعام .. اما أنا فقد كنتَ أريد أن أحقق ذاتي. لهذا انفصلت في النهاية عن بيرت.

ان الطلاق ليس نهاية الحياة بل أحيانا يكون البداية الجديدة للانطلاق.

سالي تعرضت لهجوم كثير من النقاد الفنيين .. قالوا انها لا تتمتع بالكفاءة اللازمة للنجاح .. وانها ليست أكثر من زوجة بيرت رينولدز. ولكن ثقتها بموهبتها دفعتها إلى اثبات ان كل ما يقال لا أساس له من الصحة حتى فازت

في عام ١٩٨٣ أصدرت الطبعة السابعة لكتابها (أعلنت عليك الحب) الذي صدر في عام ١٩٧٦ ـو (حب) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٣. نشرت هذه الطبعة دون تعديل أو إضافة كما ذكرت في مقدمة كتابها حب .. لأنها قررت اتخاذ هذا الموقف مع كل انتاجها ـ لا سيما ما كتبته في مرحلة المراهقة .. حيث يدل كل كتاب على مراحل تطورها العقلي.

قالت في مقدمة كتابها حب واعترافات بأنني قد لا أكون (معجبة) بكثير مما يضمه الكتاب خصوصًا (كتاباتي) الأولى القديمة وبصورة خاصة في مرحلة المراهقة .. سواء من قصص أو خواطر..

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن هو لماذا نجحت غادة بهذه السرعة .. والجواب يمكن أن نجده بسهولة إذا عدنا إلى مؤلفاتها .. لنتأمل أسلوبها الرقيق وكلماتها التي تختارها بدقة متناهية فتهز الوجدان .. اقرأ مثلاً هذه الكلمات التي استهلت بها كتابها أعلنت عليك الحب :

هذه الحروف بحلوها ومرها نمت في رحم حبك .. وترعرعت في بلاط جسدك وكبرت تحت شمس لقائك وانتظمت في سطور لأجل عينيك .. لك وحدك أهديها

انها تعتبر الكتابة جوهر حياتها ومحركها الداخلي وبدونها ترى العمر قشرة فارغة .. تقول «فعل الكتابة يسحرني منذ الطفولة .. إذا غازلني شاب شفهيًا لا أصدق .. ولكن أصدقه إذا كانت مغازلته في رسالة .. لدي يقين بأن الإنسان قد يكذب إذا تكلم .. لكنه لا يستطيع الكذب إذا كتب .. كأن فعل الكتابة طقس سحري مقدس له حرمته .. وكل انتهاك له يجلب لصاحبه اللعنة.

هناك حساء يجهز بواسطة معجنات لها شكل الحروف .. اذهل أمامها .. ولا اجرؤ على ابتلاعها اقرأ في حروفها رموزًا وإشارات كما تقرأ الساحرة في المندل.

الكلمة المكتوبة تعني لي الكثير من المسموعة .. أحاديثي الصحفية لا أحبها مواجهة ومشافهة لأنني لا أشعر بالخشوع في اللقاء بل بالأنس والرغبة في الود الإنساني اللطيف (حينما اتلقى اسئلة مكتوبة أشعر بأن الكرة الأرضية بأكملها تسألني .. والليل شخصيًا يحضر المحاكمة .. والرياح والعناصر شهودي .. مع الكتابة لا شيء غير الصدق والحرية .. والتحرر من حضور الآخر .. الحب أو البغض).

في مجموعتها (عيناك قدري) كانت غادة أكثر ثورية وأكثر صدقًا من كل الأديبات العربيات ولهذا انتشرت بسرعة الصاروخ في القصة الأولى التي تحمل نفس اسم المجموعة (عيناك قدري) .. تحكي قصة فتاة تتمرد على مصيرها كأنثى .. فتلبس (ياقة) عالية وتحصل على شهادة جامعية وتشرب (النارجيلة) وتعمل في إحدى الشركات وتشتري سيارة ولكنها في النهاية تفهم أنه لا مفر من قدرها .. انها انثى والشمس لا يمكن أن تشرق من الغرب .. والفتاة لا يمكن أن تستغني عن رجل يضمها إلى صدره ويدفئها بحنانه وحبه وينجب منها الأطفال وفي بقية القصص تقدم غادة نماذج من المرأة ففي قصة (القطة) تصور غيرة المرأة وفي الهاوية وما وراء الحب .. تصور سرعة زوال جمالها .. وتصور بطولتها في مغارة النسور .. وتضحيتها في (الفجر من النافذة) وبعد صدور هذه المجموعة كتب أحد النقاد في مجلة أضواء التي تصدرها المنظمة العالمية لحرية الثقافة بباريس قائلاً:

هذه المجموعة كباكورة انتاج .. كانت مدهشة بفنها الأصيل وصدقها .. قد يؤخذ عليها ازدحام الصور البلاغية والكلمات الشاعرية إلا أن هذا لا يعتبر عيبًا خطيرًا إذ أنه يبشر بمستقبل لامع لكاتبة ما زالت في أول العطاء..

ونعود لنسأل ـ كيف كانت البداية مع غادة .. ولماذا اختارت الكتابة مهنتها؟

فتجيب .. لا أذكر بوضوح طفولتي الاجتماعية .. كنا نعيش في بيت صغير .. الصورة الأساسية الباقية في رأسي من تلك الفترة هي صورة والدي منكبا يعمل باستمرار ويكتب (كان استاذًا جامعيًا ..) كان فخورًا جدًا بأنه لا يدخن ولا يشرب الكحول .. ويصلي ويصوم .. ويخرج بي إلى نزهات مشي طويلة في (الغوطة وقاسيوان) .. كانت لديه صفات ذلك الجيل الرائع من الرجال الذين يروضون جسدهم على نوع من الصوفية والارادة .. وكان يحاول نقل ذلك إليّ منذ الطفولة.

وعندما بلغت غادة عامها الرابع عشر كانت سيدات الأسرة يعتبرنها نموذجًا (للبنت البائرة) فهي نحيلة وسمراء وسوداء الشعر .. بينما تتطلب مقاييس الجمال الشامي بنتًا بيضاء ممتلئة وشقراء .. وهي لا تعوض ذلك بالتفوق في الأعمال المنزلية.

ولهذا سيكون من الصعب أن تجد عريسًا وبالتالي فان مستقبلها سيكون سيئًا.

ولم يكن هناك غير حل يائس في نظرهن وهو أن تكمل غادة تعليمها.

وتضيف غادة (.. كان رائعًا أن يطلق سراحي) نسائيًا فقد كنت احيا في كوكب آخر وتقلقني أمور أخرى مختلفة .. لطه حسين وجرجي زيدا وكيتس وشيلي وشكسبير وروايات آرسين لوبين .

كصبية مراهقة وطالبة في التجهيز الأولى للبنات الفرع العلمي بدت لي دمشق يومئذ مدينة مصنوعة للرجال فقط .. لا مكان فيها للنساء إلا من أجل أداء أعمال السخرة والزينة .. والرجل في البيت (رحمة حتى ولو كان فحمة) ولم تكن الأمثال الشعبية وحدها تؤكد هذه الحقيقة .. فحينما كنا نتظاهر ـ نحن البنات ـ لشأن سياسي ، كنا ننتظر وصول الصبيان إلى مدرستنا كي يخرجونا هم في المظاهرة ونقول : جاء الصبيان ليعلنوا اضرابنا» . لم نكن

نأخذ المبادرة .. لم نكن نكتب الشعارات وانما كنا نمشي خلفهم ونردد أقوالهم

اتذكر جيدًا يوم ان انتظرناهم طويلاً .. لكنهم نسونا ، وكانت أصواتهم تأتي من الشارع كالرعد صارخة: ناصر .. ناصر .. ناصر .. ونحن نتابع الدرس مقموعات دونما أي حس بالمبادرة حتى تذكرنا صبي منهم وأضرب بمفرده مدرستنا بأكملها..

وعندما نفتش في ذاكرة غادة السمان باحثين عن أولى مغامراتها مع الكلمة لا نجد ما نريد .. هي نفسها تعترف بذلك .. كقول .. لا أذكر مغامرتي الأولى مع الحرف لا استطيع أن اتذكر يومًا لم اكن اعرف فيه القراءة والكتابة.

اعرف انني تعلمت الفرنسية كلغة ثم العربية والقرآن ليستقيم لساني.

الكتـابـة .. والحياة مرتبطان في ذهني منذ الطفولة القراءة كانت شيئًا ساحرًا .. واعترف انني كنت اعشق قراءة المحرمات وكان لوالدي درج مغلق .. كنت باستمرار اعالجه في غيابه لاقرأ ما يضمه .. كما كنت اعالج الادراج المغلقة (سرًا) في بيوت الأقارب والمعارف ..

للادراج المغلقـة سحر يتغلب على كل حس (بالأمانة) لدى وما يكتشفه الإنسان من حقائق الناس في ادراجهم المغلقة كان دومًا يذهلني .. وكان ذلك أول جرس يقرع في عالمي الطفل عن (الازدواجية).

* * *

أول قصة رغبت في نشرها كان اسمها (من وحي الرياضيات) نشرتها في مجلة المدرسة الثانوية .

ـ لماذا ؟

ـ ربما لاثبت لاستاذتي في اللغة العربية يومئذ أن ظنونها حول موهبتي في محلها ..

اقـرب قصــة إلي هي (حريق ذلك الصيف) في مجموعتي (رحيل المرافىء القديمة) قصة هذه القصة هي انني وبعض الرفاق داومنا فعلاً على السهر في المقبرة بدلاً من المقهى في ذلك الصيف .. وكان شملنا ينعقد بعد العاشرة ليلاً في مقبرة الزيتونة المطلة على البحر (قرب نادي الضباط ببيروت).

كانت تجـربــة غنيــة .. وظهرت بصماتها في قصتي هذه كما ظهرت على الانتاج الفني لرسام كان من (رفاق المقبرة).

في صيف ١٩٦٦ توفي والدها وكان عليها ان تواجه موقفًا حازمًا .. هل كانت صادقــة حقاً أم لا في كل حرف كتبته عن الحرية ومواجهة العالم والإيمان بالمبادىء أو تحويلها إلى سلوك حتى النهاية ومهما كان الثمن (تقول غادة : لقـد وقفت وحيــدة فعلاً في هذا العالم الشرس أواجه كل القوى المتحالفة ضدي والمؤسسات العتيقة المحنكة الأساليب التي ترى في وجودي كتابة وممارسة إفسادًا لجيلي وتحريضًا حتميًا لهم على اكتشاف ذاتهم بعيدًا عن المسلمات التقليدية والأفكار الرجعية حول حقوق المرأة خاصة وحقوق الفرد العربي عامة.

كان كل شيء ضدي .. كل المؤسسات (الأسرة ـ المجتمع) القانون لم يقف إلى جانبي سوى صديقين من سوريا احدهما هام لامع لن انسى انه توكل في دعاوي وترافع واستأنف وظل يعمل لأجلي حتى اصدر الرئيس حافظ الأسد في أوائل السبعينيات عفواً عامًا شملني لقد عشت ذات فترة خارج كل شيء .. خارج اضطهاد المؤسسات ولكن خارج حمايتها أيضًا.

عشت من ١٩٦٦ إلى ١٩٦٩ متنقلة من لبنان ومختلف البلدان الأوروبية أعمل وأعيش كأي شاب وحيد (هذه السنوات هي التي كونتني وهي التي صنعت غادة والذين يعرفونني قبل عام ١٩٦٦ ولم يحتكوا بي بعدها فانهم لا يعرفون غير اسمي .. كل ما تعلمته حقًا .. تعلمته في سنوات الصراع تلك .. فهمت معنى أن يكون الإنسان طريدًا .. ووحيدًا ومهددًا بالسجن وبلا أي سند في العالم .. وإذا مات في غرفته فقد لا يكتشف الجيران جثته إلا بعد مرور الأيام وبفعل رائحتها لا بفعل افتقاد أحد له .. خلال تلك السنوات واجهت الناس غريبة بدون حماية (الأسرة ـ المركز الاجتماعي ـ النقود) وتعلمت ما لم اتعلمه طيلة باقي أيامي السابقة ..

في تلك الفترة أيضًا (بين ١٩٦٦ ـ ١٩٧٩) عشت مشردة بين مختلف الفنادق وبيوت الشباب.

في أوروبا لرخصها ومختلف غرف الأجرة وفندق الكسندر في بيروت ، واستولى عليّ حلم يتكرر .. هو حلم البحث عن بيت للسكن، والضياع بين عشرات الدهاليز المتشابهة والاسانسيرات التي تنفتح أبوابها على الفراغ، وحتى الآن واليوم ما يزال هذا النوع من الأحلام يطاردني.

وفي الفترة التي كانت عودتي فيها إلى سوريا تعني السجن، شاهدت كمية لا حد لها من أحلام العودة لبيتي في دمشق بساحة النجمة حيث أجد والدي ينتظرني ثم فجأة يسوقوني إلى منتصف الساحة لاعدامي بينما أنا أردد بحسرة: لماذا عدت؟

.. كل هذه الأحلام سهلة التفسير وواضحة إلى حد انها لا توحي بأي عمل فني .. والنوافذ تضيق . بماذا حلمت؟

ونعود إلى المرأة التي اعتبرتها غادة قضيتها الأولى .. والتي عاشت هي كامرأة لحظات الضياع والألم .. وعانت أكثر مما تعانيه أية امرأة في عالمنا العربي.

وعندما يكون السؤال: ماذا تريد غادة السمان للمرأة؟

أو بعبارة أخرى .. ماذا تتمنى للمرأة العربية .. يكون جوابها:

اتمنى للمرأة وجودًا مختلفًا في المجتمع يجعلها فاعلة ومسئولة . فالمرأة لم تصنع حقًا في أي يوم الانتظار والغزل والحياكة .. بل كانت دومًا تؤثر في مجرى صيد الرجال وتوقيت رحلاته وكمية صيده .. وقتلاه وغزواته وحروبه.

اتمنى لها حضورًا علنيًا واضحًا .. بمعنى عدم التنصل من المسئولية والخروج من الخبث النسائي الصغير الذي يصور المشاركة على انها مسئولية رجالية ، وهبة (وزارية) مثلاً يمنحها رئيس الوزراء لسيدة ما .. هذه كلها مسرحيات اجتماعية تهواها جمعيات حقوق المرأة .

أرى نقطة الانطلاق في الموقع المعاكس تمامًا أن تعمل المرأة حقًا. ان يكون العمل مفتاح وجودها كما هو بالنسبة إلى الرجل أن يأتي يوم تبدي فيه المرأة دهشتها الصادقة ـ حتى الرفض لأن امرأة عاملة أخرى تركت (الوظيفة) استعداد للزواج ـ هذا اذا لم يعتبر جنونًا.

لن تنال المرأة قضمة من رغيف الحرية إذا لم تشارك في زراعة قمحه وخبزه وجلب ملحه بغير التحريض (النق) واستعمال الأولاد في معرض الابتزاز.

اشعر باستمرار بالرغبة في تغيير وجود المرأة (الوجودي) ورفع (حضورها) إلى مستويات أعلى من الوعي الإنساني .. لذا لا أشاركها وفودها الذاهبة إلى الرجال مطالبة بذلك .. فهي لن تملك يومًا إلا ما تقوى يداها على الإمساك به .. ما ترفض المرأة أن تعيه هو أن أحدًا لا يملك أن يعطيها شيئًا

أو يحرمها من شيء يقول الإمام رفاعة الطهطاوي في «المرشد الأمين» لتربية البنين والبنات أن تعليم المرأة يمكنها عند اقتضاء الحال وأن تتعاطى من الاشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر طاقتها وقوتها. ان فراغ ايدي النساء عن العمل يشغل السنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالاهواء وافتعال الافاعيل .. فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة وإذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال فهي مذمة عظيمة في حق النساء ان المرأة التي لا عمل لها تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها وفيما يأكلون ويشربون ويفرشون وفيما عندهم وعندها وهكذا.

العمل وحده هو المفتاح .. وحده يجعل الإنسان حرًا في أن يخسر أو يغامر أو يربح ..

لا أدري كيف تطالب بعض النساء بحمل الأوسمة السياسية من دون حمل المسئولية.

المرأة غير العاملة تتوهم دومًا أن الرجل يضطهدها لأنها قاصرة عن وعي العالم المحيط بها بمعنى الكلمة كلها.

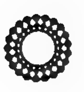
لن يكون بوسعك ان تفسر لها كيف أن الحرية بدون مسئولية فضاء بلا اتجاهات، وخواء مطلق الفراغ.

سلوك الرجال في نظرها لا يطاق .. لغز وهي لن تعي يومًا المدلول الإنساني لافعاله (القاسية) أو (الغامضة) أو (التافهة).

أنا لا أرى الجنس البشري مقسمًا إلى ذكور وأناث ، وانما إلى الذين يعملون والذين لا يعملون .. وتاء التأنيث ليست عذرًا للتسول (الارستقراطي) أو فرض (الأتاوات) على الأب والزوج.

وستـظل المرأة حضورًا هامشيًا طفيليًّا إذا لم تقم بتلك النقلة من خانة (المستهلك) إلى المنتج .. ومن مقاعد المتفرجين إلى الحلبة.

قال الفيلسوف العربي ابن رشد: ان حالة العبودية التي أنشانا عليها نساءنا اتلفت مواهبهن وقضت على قدراتها العقلية، فحياة المرأة تنقضي كما تنقضي حياة النبات.



مَصلحة إجتماعيّة

وعمرها ١٤ عامًا كتبت قصيدة شعرية يقول مطلعها:

أواه من جـرح خبـأه هـواك
القـلـب يـشـكـو الـداء مـنـذ رآك

وعـرضتهـا على مدرس اللغة العربية بمدرستها متوقعة أن يشجعها .. لكنهـا فوجئت به يزجرها ويتهمها بقلة الأدب والخروج عن الحياء الذي يجب أن تتصف به الفتاة ..

وكـان هذا المـوقف كافيًـا لأن يبعـدها عن الشعر العاطفي والكتابة في الموضوعات العاطفية ولكنها الآن بعد ٥٠ عامًا على هذه الحادثة تتخصص في حل مشكلات القراء العاطفية .. كانت صاحبة أول باب يعالج هذا النوع

من المشكلات في الصحف المصرية عندما بدأته على صفحات مجلة «المصور» عام ١٩٤٦ تحت عنوان (اسألوني)..

ان السيــدة أمينــة السعيد أول سيدة مصرية تدخل الصحافة وتتولى رئاسة مجلس إدارة واحدة من أكبر المؤسسات الصحفية في مصر وهي (دار الهلال) تقول:

انها تحرر بابًا اجتماعيًا وليس عاطفيًا .. وبالتالي فإن القائم على المشاكل الاجتماعية في مكان المصلح الاجتماعي لأن كل مشكلة يمكن أن تكون خطيرة إذا لم توجه الوجهة الصحيحة.

ان امينة السعيد ترى أنه لا توجد الآن مشكلات عاطفية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .. ولكن توجد مشكلات اجتماعية.

في الأربعينيات كانت المشكلات العاطفية موجودة نظرًا لانعدام الاختلاط .. أما الآن فالمرأة تزاحم الرجل في كل مكان .. وأصبح من السهل التعبير عن العواطف بحيث أصبحت أغلب المشكلات التي تصلها تتركز حول خروج المرأة للعمل وانعدام الثقة بين الأباء والأبناء.

وأمينة السعيد من مواليد أسيوط ٢٠ مايو ١٩١٠ تخرجت في كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية.

تحكي عن هذه الفترة قائلة:

ان طلاب الأقسام الأخرى كانوا يطلقون على طلاب قسم اللغة الإنجليزية اسم (مجموعة السبعة والنصف) حيث كان زملائي يسمونني (النصف) من قبيل المزاح على أساس أن الرجل يساوي امرأتين .

والدي كان من زعماء ثورة ١٩ .. كان من رجال الحزب الوطني البارزين اتهمه الإنجليز بالتعاون مع الشعب ضدهم .. كان طبيبًا .. اعتقلوه في القاهرة وكنا في أسيوط .. وبعد فشل الثورة سمح لأبي باحضارنا إلى القاهرة

.. التحقت بمدرسة الحلمية للبنات في أول عام رسبت في كل المواد لأنها كانت تدرس بالإنجليزية وكنت شقية جدًا .. العب كثيرًا ولا اهتم بالمذاكرة .

اغضبني مرة أحد المدرسين في الفصل .. أحسست أنه غاظني ظلمًا .. جلست طول الحصة أفكر في رد الظلم ففوجىء عندما كان يغادر الفصل بلكمة من يد صغيرة في ظهره فنظر خلفه فإذا بي اطلق قدميّ للريح خوفًا من أن يضربني .

مدرس آخر ضربني مرة ففكرت في عمل مقلب من مقالب الأطفال .. احضرت ماء وسكبته على مقعده وبالطبع لم يفطن إليه . فجلس فوق الماء .. ثم قام وانفجر الفصل من الضحك .. وما أكثر الشكاوي التي كانت تصل إلى والدي مني .

كنت أول طالبة تدخل قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب الذي لم يكن يزيد على رقم ٧ وكان يحاضر بهذا القسم اساتذة من لندن على أعلى مستوى من الكفاءة .

مصطفى أمين هو الذي ادخلني الصحافة .. ظل يطاردني حتى دخلتها .. وكان زميلي ومن أعز أصدقائي .. ودخلت مجال الصحافة فعلًا وأنا بالسنة الثانية في كلية الآداب .. وعملت في مجلة «آخر ساعة» مع الأستاذ التابعي ولم يكن يعمل بها سوى الأستاذ التابعي والأستاذ مصطفى أمين والأستاذ صاروخان وأنا وكان الدكتور قاسم فرحات وهو من طلبة كلية الصيدلة في هذا الوقت يفهم في الحساب فكان هو الذي يقوم بدور المحاسب في المجلة .

حدث أن طلب مني الأستاذ مصطفى أمين أن احضر له اخبارًا .. وأن أعمل مخبرة صحفية وفعلًا كنت أحصل له على اخبار مرة صحيحة ومرة سماعية وفي هذه المرة فاجأني الأستاذ مصطفى أمين بأن اتوجه إلى الإسكندرية بسان استيفانو حيث يوجد حمام كان في هذا ألوقت يطلق عليه «حمام السيدات»

وكان لا يدخله إلا سيدات المجتمع وأن أدون كل ما يدور على السنتهن وفعلاً ذهبت إلى هناك وجلست استمع إليهن ثم كتبت كل ما سمعته وارسلته إلى مجلة آخر ساعة ونشر الموضوع وإذا بمصر كلها تنقلب رأسًا على عقب في ذلك الوقت بسبب هذا المقال، وحمدت الله انني لم أوقع على هذا الموضوع.

وعلمت بعد ذلك أن وزارة الوفد مصممة على اغلاق المجلة .. وقد اجتمع مجلس الوزراء ليقرر ذلك لأن المجلة نشرت اسرارًا عائلية.

كنت ارتعد من الخوف رغم أن مصطفى أمين كان يطمئنني باستمرار ويؤكد لي أنهم على استعداد لأن تغلق المجلة دون أن يذكروا اسمي ولم ينقذني من هذه الأزمة إلا الأستاذ علي أيوب المحامي وكان من رجال الوفد البارزين حيث تدخل بعد أن عرف انني صاحبة الموضوع .. كان من أعز أصدقاء والدي .. وتوسط لي ومرت الأزمة.

كنت أول فتاة تعمل بالصحافة .. روزاليوسف كانت صاحبة جريدة لكنها لم تكتب أو تعمل بالصحافة .. أنا دخلت الصحافة من أول السلم .. كان مرتبي ٣ جنيهات وعندما وصل إلى ٦ جنيهات فصلني أميل زيدان صاحب دار الهلال لأنني كنت أكتب موضوعات سطحية واعتقدت أننى كاتبة عظيمة .. ارسل لي خطابًا يقول فيه :

أن انتاجك الضئيل لا يتناسب مع مرتبك الكبير.

كانت صدمة لي .. شعرت بأنني صفعت على وجهي .. وفي هذا الوقت كنت مخطوبة لزوجي المرحوم الدكتور «عبد الله» إلا أن زوجي أعطاني درسًا أخلاقيًا هو الآخر ووقف مع الأستاذ أميل زيدان حيث قال لي أن الجامعة لا تثقف ولكنها تفتح أبواب الثقافة وأنه إذا اردت أن أثقف نفسي فيجب أن أقرأ

وكانت هدية خطيبي في ذلك الوقت الدكتور عبد الله دائرة معارف عن كل آداب العالم من أيام الفراعنة حتى الآن.

وتعترف أمينة السعيد أن خطاب الفصل هذا أفادها كثيراً .. وكان سببًا أساسيًا في أن تنجح في عملها الصحفي .. تقول

بدأت أقرأ بنهم .. واستفدت من دراستي للغة الإنجليزية في أنني بدأت اترجم الدراسات الأدبية الإنجليزية للغة العربية وفكرت أن استفيد من هذه الترجمة في الإذاعة القديمة وبدأت اذيع أجمل ما كنت اقرأ في الأدب الإنجليزي وفي يوم من الأيام فوجئت بالأستاذ فكري أباظة يحضر عندي في البيت ويطلب مني أن اقابل الأستاذ أميل زيدان ورفضت إلا أن اصراره جعلني أقابله وعند مقابلته قال لي بأنه يشعر بالحرج نتيجة هذا الخطاب إلا أنه استمع إلى أمينة السعيد وهي تقدم روائع الأدب الإنجليزي ووجدها غير أمينة السعيد التي كانت تكتب وهي تشعر بأن كل ما كتبته لا يوجد أحسن منه .. وأنا فعلاً في قرارة نفسي خجلت مما كنت اكتبه في أول عهدي بالصحافة .. وقد اعطاني الأستاذ أميل زيدان مرتبًا لم أكن أحلم به .. إذا انه عندما فصلني كان كل مرتبي ستة جنيهات فبفضل القراءة والاطلاع وصل مرتبي إلى ستين جنيهًا.

والدي كان موافقًا على أن أعمل بالصحافة لكن أمي كانت تعارضه حتى أنها مرضت يوم أن قرأت اسمي في إحدى المجلات لأول مرة ومع ذلك واصلت طريقي بعد شفائها.

ان لكل مهنة متاعبها .. والصحافة مهنة لا تختلف عن غيرها والبداية من أول السلم لها دائمًا متاعبها الخاصة .. ولكن المرأة يجب أن تثبت وجودها وأن تعمل بجد حتى تنجح بين الرجال.

الطريق الصعب للشهرة

كلوديا كاردينالي .. صوفيا لورين .. راكيل ولش وجين فوندا وليف أولمان وفاي دنا واى نجمات السينما العالمية تعدين عامهن الخمسين .. ومع ذلك يعشن ازهى أيامهن .. وأحلى سنوات عمرهن وكأنهن في عمر الشباب.

البداية معهن لم تكن سهلة .. فلا يمكن أن تذكر صوفيا لورين وجينا لولبر بجيدا ومارلين مونرو الا وتذكر الطفولة التعسة .. والأيام التي كانت تمر على أسرهن دون أن يكون في البيت أي طعام.

غموض مؤسف وطفولة تعيسة .. جعلت منهن نساء قويات فيما بعد لأنهن عشن مرحلة التحدي وكان لا بد أن ينجحن في مواجهة الفقر وإلا فإن التعاسة هي المصير المحتوم.

وكل الفنانات اللاتي دخلن الفن لم يدخلنه مؤهلات كلهن تعلمن في البدء وصبرن على متاعب المهنة حتى نجحن فمثلاً أودرى هيوبورن قالوا عنها في بداية حياتها الفنية أنها ممثلة رديئة .. حركاتها مرتبكة ولن تستمر طويلاً ، لكن اصرارها على النجاح دفعها لأن تكون في مقدمة الصفوف .. فقد كانت الكاميرا تعكس أمام الجماهير ذلك القلق الصبياني في وجهها المتوتر الذي كان يجذب كل من يشاهدها على الشاشة .

أما فاى دوناواي فكان جواز مرورها إلى قلب المشاهد تلك الهستيريا التي تغلف نظراتها وتوترها الدائم.

وكلوديا كاردينالي اختارت لنفسها أن تدخل إلى قلب الجماهير من خلال دور الأخت الكبرى التي يحبها الجميع.

وليف أولمان استغلت نظرات عينيها التي تشع جاذبية وتلك السمات الناعمة في وجهها لكي تنجح في عالم الفن .

باختصار شديد أن كل فنانة استطاعت أن توظف مواهبها لكي تشق طريقها نحو النجاح .. فالطريق لم يكن ممهدًا بل كان مليئًا بالمتاعب وكلوديا كاردينالي نموذج للفنانة التي نجحت في مقاومة كل المتاعب. ،

عمرها الآن ٥٣ عامًا .. ورجلها على الفن بدأت منذ سنوات طفولتها الأولى .. فهي من مواليد صقلية لكنها عاشت سنوات طفولتها في تونس. قبل أن تحصل على الجنسية الايطالية .

كانت طالبة في مدرسة الليسية بتونس حين تم اختيارها كملكة جمال للايطاليات بتونس وفي حفل كبير حضره نجوم السينما والمنتجون الايطاليون وجدت باب الفن ينفتح لها ـ حيث عرض عليها المنتجون المشاركة في بعض الأفلام وكان فيلمها الأول (الحمامة) مع ماريو مونيسلي: ثم التقطها المخرج الايطالي العظيم بولينيني ليقدمها من خلال فيلمه

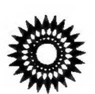
انطونيو الجميل مع ماستورياني .. وانتشرت كلوديا فنيا ، حصلت على جائزة أحسن ممثلة عن دورها في فيلم «التاريخ» من جمعية نقاد السينما الايطالية .

ولم يكن اختيارها كملكة جمال هو السبب الأساسي لدخولها عالم الفن .. بل كانت لديها رغبة جامحة في ذلك لكي تتخلص من مشكلة كانت تؤرقها .. «كانت كلوديا قد تعرفت على شاب ايطالي في تونس .. غرر بها هذا الشاب وهرب بعد أن حملت منه وكان عليها ان تخفي ذلك عن أسرتها المحافظة فبحثت عن عمل وجاءت فرصة المسابقة ونجحت كملكة جمال وانتقلت إلى ايطاليا للابتعاد عن اسرتها لاخفاء جريمتها وحين بدأ الجنين يكبر في احشائها كان القلق يقتلها فاضطرت لمصارحة المخرج الذي تبناها فرانكو كريستا لدى . واتفق مع المنتجين على ارسالها إلى لندن بحجة دراسة اللغة الإنجليزية وكان الهدف الحقيقي ان تلد هناك .. وعادت لترعى طفلها .. لكن المخرج الذي تبناها كان اعجابه يزداد بها يوما بعد يوم حتى تزوجها وتبنى طفلها بعد أن طلق زوجته .. وكان موقف فرانكو هو ضوء الأمل الوحيد الذي انقذها من الضياع .. فقد كانت الصحافة تنشر أسرارها وبدأت تلمح إلى حكاية طفلها .. وكان ذلك كفيلاً بالقضاء عليها لولا أن فرانكو كريستا لدى وقف إلى جانبها .. وتزوجها .. بعد أن صورتها الصحافة على أنها امرأة لعوب .. خطفت زوجًا من زوجته ..

وكان الموقف صعبًا واجهته بصبر طويل إذ كان عليها ان تغلق أذنيها أولاً تجاه الأقاويل .. وان تشغل نفسها تمامًا بالعمل .. وبدأت تقدم افلامًا جيدة غيرت نظرة الجمهور نحوها ..

وخلال ست سنوات قضتها مع فرانكو استطاعت ان تقدم نفسها للسينما العالمية على انها نموذج للمرأة الايطالية التي تشع انوثة وبراءة وخجلاً وتتمتع بالقوة والقدرة على التخطيط السليم والاستحلالية.

ولهذا نجحت كلوديا كاردينالي كفنانة وكامرأة وأم.



الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
٣٥٤ لسنة ١٩٩٢